# الفصل الثاني

## دراسة تطبيقية
## لشعر المتقب العبدي

ويشتمل هذا الفصل على النقاط التالية:

- القصيدة الأولى
- القصيدة الثانية
- القصيدة الثالثة
- القصيدة الرابعة
- القصيدة الخامسة
- القصيدة السادسة
- القصيدة السابعة

# الفصل الثاني

# دراسة تطبيقية

# لشعر المثقب العبدي

## القصيدة الأولى

هَـلْ عِنْـدَ غَـانٍ لِفـؤادٍ صَـدِ ... مِنْ نَهْلَةٍ في اليومِ أوْ فِي غَدِ

يَجْـزِي بِهَـا الجـازُونَ عَنِّـي ولَـوْ ... يُمْنَـعُ شُـرْبِي لَـسَقَتْنِي يَـدِي

قالَـتْ: ألا لا يُـشْتَرَى ذَاكُـمُ ... إلاّ بِمَـا شِـئْنَا ولَـمْ يُوجَـدِ

إلاّ بِبَـدرَيْ ذَهَـبٍ خـالِصٍ ... كُـلَّ صَـباحٍ آخِـرَ المُـسْنَدِ

مِـنْ مـالِ مَـنْ يَجْنِـي ويُجْنَـى لَـهُ ... سَبْعونَ قِنْطَاراً مِـنَ العَسْجدِ

أوْ مِائَـةٌ تُجْعَـلُ أوْلادُهَـا ... لَغْـوا، وعُـرْضُ المِائَـةِ الجَلْمَـدُ

إذْ لَـمْ أجِـدْ حَـبْلاً لَـهُ مِـرَّةٌ ... إذْ أنَـا بَـيْنَ الخَـلِّ والأوْبَـدِ

حَتَّـي تُلُوفِيـتُ بِلُكَيِّـةٍ ... مُعْجَمَـةِ الحـارِكِ والموقِـدِ

تُعْطِيْـكَ مَـشْياً حَـسَناً مَـرَّة ... حَتَّـكَ بـالمرودِ والمحـصدِ

يُنْبِـي تَجَالِيْـدِي وأَقْتَادَهَـا ... نَـاوٍ كَـرأسِ الفَـدَنِ المُؤْيَـدِ

عَرْفَـاء، وَجْنَـاءَ جُمَالِيَّـةٍ ... مُكْرَبَـةٍ أَرْسَـاغُها جَلْمَـدِ

تَنْمِـي بِنَهَّـاضٍ إلى حَـارِكٍ ... ثَمَّ كَرُكْنِ الحَجَرِ الأصْلَدِ

كأنَّمَـــا أَوْبُ يَـــدَيْها إلى ... حَيْزُومِها فوقَ حَصى الفَدْفَدِ
نَـوْحُ ابْنَـةِ الجـوْنِ عَلَـى هَالِـكٍ ... تَندُبُـــهُ رافِعَـــةَ المِجْلَـــدِ
كلَّفتُهـــا تَهْجِـــيرَ دَاوِيَّـــةٍ ... مِـنْ بَعْـدِ شَـأْوَى ْ لَيْلِهـا الأبْعَـدِ
في لَاحِـــبٍ تَعْـــزِفُ جِنَّانُـــهُ ... مُنْفَهِـقِ القَفْـرَةِ كالبُرْجُـدِ
تَكَـــادُ إذْ حُـــرِّك مَجْـدافَها ... تَنْـسَلُّ مِـنْ مِثْنَاتِهـا واليَـدِ
لا يرفـعُ الـسَّوْطَ لهـا راكِـبُ ... إذَا المَهَـارَى خَـوَّدَتْ في البَـدِ
تَـــسْمَعُ تَعْزَافـــاً لَـــهُ رَنَّـــةٌ ... في بَـاطِنِ الـوادِى وفي القَـرْدَدِ
كأنَّهَـــا أَسْـــفَعُ ذو جُـــدَّةٍ ... يَمْـسُدُهُ الوَبْـلُ ولَيْـلٌ سَـدِ
مُلَمِّـعُ الخَـدَّيْنِ قَـدْ أُرْدِفَـتْ ... أَكْرُعَـهُ بـالزَّمَعِ الأَسْـودِ
كأنَّمَـــا يَنْظُـــرُ في بُرْقُـــعٍ ... مِـنْ تَحْـتِ رَوْقٍ سَـلِبِ المِـذْودِ
يُـــصِيخ للنَّبْـــأَةِ أَسْـــمَاعَهُ ... إِصَـاخَةَ النَّاشِـدِ للْمُنْـشِدِ
فَنَخِـبَ القَلْـبُ ومـارَتْ بِـهِ ... مَـوْرَ عـصافِيرُ حَشَى المَرْعَـدِ
ضَـــمَّ صِـــمَاخَيْهِ لِنُكْرِيَّـــةٍ ... مِـنْ خَشْيَةِ القانصِ والمُؤْسِدِ
وانْتَـــصَبَ القَلْـــبُ لِتَقْـــسِيمِهِ ... أَمْـــراً فـــرِيقَيْنِ ولم يَبْلُـــدِ
يَتْبَعَـــهُ في إِثْـــرِهِ واصِـــلٌ ... مثْـلُ رِشَـاءِ الخُلُـبِ الْـأَجْرَدِ
تَنْحَـسِرُ الغَمـرَةُ عَنْـهُ كمَـا ... يَنْحَـسِرُ الـنَّجْمُ عَـنْ الفَرْقَـدِ
في بلـــدةٍ تَعْـــزِفُ جِنَّانُهَـــا ... فِيهـا خَنَاطِيـلُ مـن الـرُّوَّدِ
قَـاظَ إلى العُلْيَـا إلى المُنْتَهـى ... مُـسْتَعرِضُ المَغْـربِ لم يَعْـضُدِ
فَـــذَاكُمُ شَـــبَّهْتُهُ نَـــاقتي ... مُـــرْتَجِلاً فيهـــا ولم أَعْتَـــدِ
بالمَرْبِـــأِ المرهُـــوبِ أَعْلامُـــهُ ... بـالمُفْرِعِ الكائبَـةِ الأكْبَـدِ
لَّـــا رأى فَالِيـــهِ مـــا عِنْـــدَهُ ... أَعْجَـبَ ذا الرَّوحـةِ والمُغتـدِى
كالأَجْدَلِ الطَّالـبِ رَهْـوَ القَطَـا ... مُستَنْشِطاً في العُنُـقِ الأَصْيَدِ
يَجْمَعُ في الوَكْـرِ وزِيماً كمـا ... يَجْمَعُ ذو الوَفْضَةِ في المِزْوَدِ[1]

(١) ديوان المثقب العبدي : ١٠ ـ ٥٦.

**مدخل تمهيدي لبناء القصيدة :**

إن المدخل التحليلي لتراكيب هذه القصيدة ينطلق من تصور عام لها على أنها لوحة فنية، ذلك لأننا أمام فنان يرسم بألفاظه لوحات أبدع في وصفها وتصويرها، ولذا يجب أن ندرس كل لوحة كوحدة مستقلة داخل مجموع اللوحات التي تتشكل منها القصيدة، فكل لوحة منهم تمثل ركناً من أركان البناء الفني، فيجب ألا نفصلها عن أختها، حتى لا يختل البناء الفني، وبناء الصورة الكلية لتلك اللوحات التي تمثلها أبيات القصيدة كلها .

تحتوي هذه القصيدة كاملة على لوحتين: الأولى عبارة عن مقدمة غزلية، والثانية وصف الناقة، ثم خاتمة، وسنقوم بتحليل البناء التركيبي لكل لوحة على حدة؛ وما أشتملت عليه كل لوحة من جمل متنوعة ،كانت وسيلة الشاعر في التعبير عن قدرته الإبداعية في الوصف ورسم اللوحات بالألفاظ، ثم بيان السمات التركيبية الخاصة بكل لوحة ، ثم نقارن بينهم لبناء تصور لأسلوب المثقب في بناء جمله .

**اللوحة الأولى : وصف لشربة ماء**

تبدأ من البيت الأول حتى البيت السابع، يصف في تلك الأبيات شربة ماء من الحبيبة، وتعد مقدمة غزلية؛ لحديثه عن الحبيبة وطلب شربة ماء منها وتعززها في إعطاء هذه الشربة، والمساومة في ثمنها، وقد جاءت هذه اللوحة في جملة اسمية استفهامية واحدة هي (هل عند غان لفؤاد صد من نهلة ؟ ...) ثم تولدت من هذه الجملة جمل أخرى.

الجمل الجديدة : صفات للمبتدأ ( شربة ماء ) هى :

١ ـ الأولى : "يجزى بها الجازون عني" وصف للشربة في جملة فعلية .

٢ـ الثانية: "ولو يمنع شربي لسقتني يدي" شرطية تمثل الحل عند منعه الشربة.

٣ـ الثالثة: هي عبار عن مجموعة جمل مرتبطة بالجملة الأولى في أحد أركانها وهو المبتدأ، جاءت في شكل حوار حول ثمن هذا المبتدأ (شربة الماء) بينه وبين الحبيبة، وهذه الجمل هي :

أ ـ قالت: ألا لا يشترى ذاكم إلا بما شئنا، ولم يجد .

ب ـ إلا ببدرى ذهب خالص كل صباح آخر المسند.

ج ـ من مال من يجبى، ويجبى له سبعون قنطاراً من العسجد.

د ـ أو مائة، يجعل أولادها لغواً وعرض المائة الجلمد.

٤ـ الرابعة: "إذا لم أجد حبلا له مرة، إذ أنا بين الخل والأوبد"

وهى وصف لحال الشاعر وقت هذا الحوار، فلحظة أن كانت الحبيبة تذكر ثمن هذه الشربة كان الشاعر بين مكانين مخيفين، لا يجد جواراً يسمح له بأن ينتقل بين القبائل .

**الوصف التوليدي:**

لو نظرنا إلى الجملة الثالثة لوجدنا أنها رُكبت بطريقة تنم عن خاصية أسلوبية لدى هذا الشاعر ، وهى خاصية الوصف التوليدي؛ حيث تقوم على توليد جمل جديدة بغرض وصف شيء ما (ثمن شربة الماء )، فنجد بعد الفعل قالت جملة مقول القول جملا هى عبارة عن:

١ـ جملة استثنائية واحدة بها عدة استثناءات، حيث ذكر بعد أداة النفى الفعل، ثم المستثنى منه، وأداة الاستثناء (إلا) ثم المستثنى، وهو عدة استثناءات.

- **المستثنى الأول:** " بما شئنا + وصف له (ولم يُجدْ)" جاء في جملة فعلية.
- **المستثنى الثاني:**" ببدري ذهب + صفة لهما (خالص)"

ثم يصف غنى صاحب هذين البدرين " مِنْ مال مَنْ يَجبى ويُجبى له سبعون قنطار من العسجد" في كل صباح.

- **المستثنى الثالث:** "أو مائة + صفة لها (تُجعل أولادُها لغواً) + صفة ثانية لتلك النوق المائة (وعرض المائة الجلمد) .

**وصف الصفة :**

يأتي بعد ذلك توليد آخر وذلك بوصف الصفة، فكل استثناء مما سبق هو وصف لشيء واحد هو ثمن هذه الشربة ، ولكنه يأتي معه وصف آخر ليبينه و يحدده ، وكل مستثنى مما سبق يُولد منه الشاعر جملة أو جملتين أو متعلق به

جار وجرور أو ظرف أو غيره؛ كصفة لهذا المستثنى يوظفها الشاعر كلها في غرض ما هو الوصف لثمن الشرب فقط نحو:

١- الجار والمجرور: من العسجد - ببدرى - من مال.
٢- المضاف إليه: ببدرى ذهب - آخر المسند - عرض المائة - كل صباح.
٣- الوصف المفرد: ببدرى ذهب خالص.
٤- التمييز: قنطاراً - لغواً.
٥- الاسم الموصول وجملة الصلة: بما شئنا - مَن يُجبى - وتُجبى له.

هذا الوصف الدقيق لأجزاء اللوحة التي يرسمها الشاعر لتلك الشربة من خلال وصف ثمنها، يدل على إدراك الشاعر لأجزاء الصورة المتناهية في الصغر، وقيمتها في رسم الصورة بدقة، وقدرته على توظيف كل التراكيب اللغوية المختلفة لتحقيق غرضه الوصفي ، وتوليده جملا كثيرة متعلقة بالجملة الأولى .

يضاف إلى هذا ميله في هذه اللوحة إلى استخدام الفعل المبني للمجهول (يُشترى - يُمنع - يُوجد - يُجبى - تُجعل) وهو عدد يفوق عدد الأفعال المبنية للمعلوم في اللوحة كلها وهي: (يجزى - سقتني - قالت - يجبى) ربما كان هذا الميل للأفعال المبنية للمجهول تعبيراً عن صعوبة تحقيق هذه الصفقة لاستحالة الحصول على ذلك الثمن .

ثم يأتي البيت الأخير في اللوحة ليوضح مكان الشاعر أثناء هذا الحوار، يقول المرصفي في شرح هذا البيت: (والخَل بفتح الخاء والأوبد موضعان مخيفان يريد: قالت: ألا تشتري تلك النهلة إلا بما طلبت. وقت لم أجد عهداً وثيقاً أجوز به من قبيلة إلى قبيلة وأنا بين هذين الموضعين) [١]

**توظيف ( إذْ ) للتعبير عن الحيرة :**

عبر عن حيرته وعجزه عن تقديم ثمن تلك الشربة في جملتين تبدأ كل منهما بـ (إذ) الجملة الأولى : " إذ لم أجد حبلا له مرة " وهذه الجملة مكونة من :

---

(١) رغبة الأمل ٢/٥٧.

" إذ + لم + جملة فعلية (فعل+فاعل+مفعول "جملة اسمية صفة المفعول"

الجملة الثانية:"إذْ أنا بين الخَل والأوْبد" وهي مكونة من : إذْ + جملة اسمية.

## أثر الوزن والقافية على تراكيب الألفاظ واختيارها:

لقد أثر الوزن والقافية على تكوين الجملة حيث أدي ذلك إلى :

١- التقديم والتأخير: حيث قدم المفعول على الفاعل كما في (لو يمنع شربى لسقتني يدي) وكذلك تقديم الخبر على المبتدأ في قوله (هل عند غان لفؤاد صد من نهلة في اليوم أو في غد.

٢- لم يستطع الشاعر أن يلتزم بالقافية، بل حدث إقواء حيث رفع الجلمد مخالفاً القافية المكسورة، خاضعاً لقواعد اللغة.

٣- تغيير كلمة (بدرة إلى (بدر) ثم ثناها)[١] تحت تأثير الوزن، وكذلك كنّى عن المرأة بقوله (غان) أراد غانية فرخم[٢].

وأخيراً كان ترتيب الوصف يسير على منهج واحد؛ وهو البدء بالوصف المفرد، ثم شبه الجملة،ثم الوصف الجملة نحو: هل عند غان لفؤاد صد (وصف مفرد) من نهلة في اليوم أو في غد (وصف شبه جملة) يجزى بها الجازون عنى (وصف جملة فعلية).

ترتيب التدرج في الوصف: وصف ( مفرد >> شبه جملة >> جملة )

وهذا الأسلوب نجده يتكرر في: ببدرى ذهب خالص (وصف مفرد) كل صباح (وصف شبه جملة) مِن مال مَن يَجْبى ويُجبى له (وصف جملة فعلية).

إن أسلوب المثقب يتميز بخاصية "الوصف التوليدي" الذي يسير على الترتيب السابق في العرض، أو قل في تدرج الفكرة الوصفية من الأقل في التركيب إلى الأكبر، كدليل على نمو الفكرة في ذهنه، ووضوح صفاتها ، ليتجه بها من

---

(١) الديوان ١٢.

(٢) الديوان ١١.

الوصف الموجز إلى الشرح والتوضيح لخصائص تلك الصورة؛ فكأنه يراها بكل جوانبها في صورة أكبر، فتتضح ملامحها في داخل ذهنه؛فيسهب في وصفها؛ ولذا قلنا عن تلك السمة الأسلوبية لدى المثقب بسمة الوصف التوليدي.

فهو يبدأ بالبحث عن نهلة أو شربة في جملة استفهامية، ثم يصف هذه الشربة، ثم يقيم حواراً مع الحبيبة عن ثمن هذه الشربة، ثم يصف أموال من يمتلك ثمن هذه الشربة، ثم يصف نفسه وحاله لحظة أن طلبت الحبيبة هذا الثمن، فالرجل يخرج بنا من وصف إلى وصف في سلسلة طويلة، تبدأ من الوصف المفرد إلى شبه الجملة ثم الوصف الجملة؛ لقد رسم لنا صورة متكاملة أو صورة جليلة للشربة، وظَّف لها كل تراكيب اللغة، يختار منها ما يناسب هذا الوزن وتلك القافية وخاض صراعاً بين اللغة والإيقاع؛ خسر فيه من خسر وربح من ربح منهما.

**صراع الشاعر في هذه اللوحة مع قيود الإبداع وظهور سماته الأسلوبية :**

نستطيع أن نخرج من هذه اللوحة الصغيرة بشيئين هما :

الأول :صراع الشاعر مع :

١) قيود الإبداع متمثلة في قيود الإيقاع (الوزن والقافية).

٢) قيود اللغة متمثلة في قواعد تلزمه بتراكيب محددة، وصيغ صرفية معينة.

٣)انفعال داخله يتمثل في حيرته التي ظهرتْ في بدء القصيدة بسؤال يدل عليها

٤) سمات أسلوبية حرص الشاعر بصورة عفوية على الإلتزام بها في لوحته.

الثاني : بعض سماته الأسلوبية:

هذه السمات التي لاحظناها في هذه اللوحة سنتابعها في باقى اللوحات، بل في ديوانه كله، لننظر: هل يمكن اعتبارها سمة أسلوبية خاصة بالمثقب دون سواه؟

أ) سمة الوصف التوليدي . ب) سمة التدرج التركيبي في وصف الشيء.

## اللوحة الثانية : "وصف الناقة"

وتبدأ من البيت الثامن حتى نهاية القصيدة، لقد أبدع الشاعر في وصف ناقته من خلالها، فجمع لها كل ما تُمتدح به ناقة أو حيوان من صفات.

إن أول ما يلفت الانتباه في هذه اللوحة هو ربطها باللوحة السابقة؛ حيث تبدأ بكلمة "حتى"؛ فقد كان الشاعر في البيت السابق في حيرة لا يجد ما يوصله للمحبوبة فهو بين الخل والأوبد إذا به يُتدارك بهذه الناقة التي سيصفها، فحتى هنا لانتهاء الغاية[1] بمعنى إلى، ثم يصفها بالمنهج السابق المعروف عنه،ولكنه يطيل في هذا الوصف ما بين وصف جسدي إلى وصف حركي، وكذلك وصف الطريق الذي تسير عليه، وأثرها على هذا الطريق وعلى راكبها، وهو ينوع في هذا الوصف بين وصف مفرد إلى جملة إلى شبه جملة.

إن هذه اللوحة مكونة من جملة واحدة أيضاً، هي جملة فعلية مكونة من فعل + نائب فاعل + مفعول به (تُلُوفِيت بلُكيَّة)، ثم تنطلق باقي الأبيات في وصف لهذا المفعول (لُكيَّة: كثيرة اللحم) فلو قمنا بتحويل هذا الوصف إلى جمل منفصلة لنستخرج سماتها الأسلوبية؛ لوجدنا أنها مكونة من هذه الجمل:

١. مُعجمة الحارك والموقد. ٢- تعطيك مشياً حسنا مرة. ٣- حثك بالمرود والمُحصد. ٤- يُنْبي تجاليدي وأقتادها ناوٍ. ٥- كرأس الفدن المؤيد. ٦- عرفاء - وجناء - جمالية ٧. مكربة أرساغها. ٨- جلمد. ٩- تنمى بنهاض إلى حارك ثمَّ. ١١- كركن الحجر الأصلد.١٢- كأنما أوبُ يديها إلى حيزومها.١٣- فوق حصى الفدفد. ١٤- نوح ابنة الجون على هالك. ١٥- تند به رافعة المجلد.

هذه الجمل صفات لتلك الناقة، تنوع الوصف فيها ما بين الوصف المفرد والجملة وشبه الجملة، وقد ربط بين هذا الصفات المفردة و الجمل الوصفية بروابط معنوية ومادية؛ وكأنه يقول: لا تتحقق هذه الصفة فيها إلا بشرط كذا؛ بما يمكن أن نسميه "الوصف المشروط" فهي لا تعطيك مشياً حسناً إلا إذا قمْتَ بحثها بالمرود والمحصد. فهو رابط معنوي بين جملتي( تعطيك وحثك).

ثم يأتي التشبيه المادي بالكاف أو الوصف بالكاف في جملتي (تُنْبِي وتُنْمى) وبكأنَّ في موضع واحد (كأنما أوب يديها نوح ابنة الجون) .

---

(١) انظر الديوان:ص ٢١ إلى قوله" إذ لم أجد" ، يريد: لم أجد حتى تلوفيت بلكية.

ثم الوصف بالجملة الفعلية لابنة الجون( تندبة رافعة المجلد).

الوصف بالمجرور: حيث عدَّ الفعل "تُولفيت" للمفعول بالجار والمجرور، فيقول: تلوفيت بلكية (وهو وصف للناقة بأنها كثيرة اللحم) ثم يأتي بصفات مفردة كثيرة مجرورة تابعة لكلمة لُكيَّة في بيت كامل وهو: عرفاء - وجناء - جمالية - مكربة أرساغها - جلمد، فهى خمس صفات تابعة للُكيَّة.

الوصف الحركي: إذا نظرنا إلى هذه الجمل الوصفية نجد أنه يميل إلى وضع الصفة في صورة حركية بوصفها في جملة فعلية، وذلك إذا حولنا هذه الجمل إلى صفة مفردة، نحو:

١- صفة أنها ذات مشى حسن يقول: تعطيك مشياً حسناً مرة حثك بالمرود والمحصد، أي لحظة أن تحثها بالمرود تعطيك مشيا حسنا.
٢- صفة أنها قوية سمينة: " يُنْبِي تجاليدي" أي يرتفع جسدها وهو فعل حركة.
٣- صفة طول العنق : " تنمى بنهاض" فهو يريد أن يصفها بطول العنق من خلال فعل الحركة تنمي .
٤- صفة السرعة: "أوب يديها إلى حيزومها... نوح ابنة الجون" حركة النادبة .

لقد استخدم الأفعال (تعطي - ينبي - تنمي...) ليعبر عن مشيها وسرعتها وقوتها وسمنتها، وكلها صفات لبنيتها الجسدية، يعاونه إلى جانب تلك الأفعال مجموعةُ من المجرورات والظروف؛ نحو : فوق حصى الفدفد. إلى جانب الوصف التوليدي، حيث يخرج من وصف سرعتها والتطام يديها بالحصى بنوح ابنة الجون، إلى جملة فعلية تصف ابنة الجون وهي تندبه رافعة المجلد، ثم ينتقل الشاعر في وصفه للناقة إلى جزئية جديدة؛ وهي كيفية تأديتها للمهمة التي كلفها بها؛ معترضاً ذلك بوصف آخر؛ وهو وصف الطريق مع وصف الناقة وما يشبهها من الحيوانات.

امتداد الجمل: لقد كانت الأبيات السابقة من الثامن حتى الرابع عشر تمثل جملة واحدة فعلية مكونة من: فعل+ نائب فاعل + مفعول، ثم جمل هي امتداد وصفي لهذا المفعول في خمس جمل. ثم بدأ في وصف تأديتها لمهمتها في جملة فعلية جديدة، وهنا يسير خطُّ امتداد الجملة في جهة أخرى، فقد كان امتداد الجملة

فيما سبق من جهة المفعول ـ كما رأينا آنفا ـ لكن امتداد الجملة هنا جاء من ناحية المضاف إليه. وهو الفلاة الواسعة، فنجده يصف الفلاة الواسعة التي تسيرفيها الناقة بعدة جمل هى : كلفتها تهجير داوية (الفلاة الواسعة) [١] من بعد شأويْ ليلها الأبعد / في لاحب تعزف جنانه / منفهق القفر كالبرجد / تكاد إذ حُرِّكَ مجدافها تنسل من مثناتها واليد / لا يرفع السوط لها راكب..

فنجد الجملة الأساسية هنا مكونة من: فعل + فاعل + مفعول أول + مفعول ثان + مضاف إليه "كلفتُها تهجير داوية "

مصاحبات هذه الجملة: "من بعد" مضاف إليه + "شأويْ" مضاف إليه "ليلها" + صفة مفردة للظرف "الأبعدي" .

ثم يأتى امتداد آخر للجملة من خلال وصفه الداوية المضافة إلى المصدر "تهجير" في جملة مكونة من: جار ومجرور "في لاحب "+ جملة فعلية صفة للمجرور "تعزف جنانه"+ صفة مفردة للمجرور "منفهق القفر" + جار ومجرور صفة للمجرور"كالبرجد" لقد كان امتداد الجملة من جهة الجار والمجرور الذي أتبع بعدة صفات له:مفردة، وجملة، وشبه جملة.

ثم يعود ليصنع امتدادا آخر لهذه الجملة، ولكن من ناحية المفعول الأول وهو الناقة أثناء تأديتها لمهمتها في جملتين الأولى مكونة من : فعل " تكاد" > جملة شرطية " إذْ + فعل الشرط "حُرِّك مجدافها"+ جواب الشرط "تنسل من مثناتها"

الجملة الثانية: جملة وصفية للناقة شرطية؛ تقدم جواب الشرط فيها على فعل الشرط وأداته، وهي مكونة من: فعل منفى " لا يرفع" + مفعول "السوط " + جار ومجرور "لها" + فاعل "راكب " + أدة الشرط "إذا" + جملة فعل الشرط " المهارة خودت في البد "

ثم يعود ليصف المكان مرة أخرى؛ ولكن من جانب جديد فيه هو جانب الصوت الذي يصدر فيه، في جملة مكونة من : فعل "تسمع" +مفعول "تعزافا" +

---

(١) انظر الديوان ٣٠.

وصف جملة لهذا المفعول "له رنَّةٌ" + جار ومجرور وجار ومجرور " في باطن الوادى وفى القردد "

**تصور لامتداد الجمل الأساسية في هذه اللوحة:**

الجملة الأساسية الأولى هى : " تلوفيت بلكية "

عناصر الجملة : فعل + نائب فاعل + مفعول { مجرور}

الامتداد الأول: "وصف المفعول"الناقة في عدة جمل"معجمة الحارك والموقد...

الجملة الأساسية الثانية هى : " كلفتها تهجير داوية "

عناصر الجملة: فعل + فاعل + مفعول أول + مفعول ثان + مضاف إليه "

الامتداد الأول: وصف المفعول الثانى " الطريق الذي تسير فيه" في لاحب...

الامتداد الثاني: وصف المفعول الأول "الناقة في سيرها " تكاد ... تنسل ...

**الوصف بالتشبيه في هذه اللوحة:**

ثم يتجه إلى نمط آخر في وصفه للناقة، وذلك بتشبيهها بدواب أخرى؛ بما يسمى "الوصف بالتشبيه" وذلك في تراكيب متنوعة، نحو تشبيهها بـ:

أولا : بالثور الوحشي "أسفع ذو جدة" :

**المرحلة الأولى في الوصف بالتشبيه :**

وذلك بالوصف المباشر للثور ولأجزاء من جسده بصور متنوعة من الوصف :

أ) وصف مفرد : بذكر صفته بديلا عن اسمه "أسفع ذو جدة ".

ب) وصف جملة : بجملة فعلية " يمسده الوبلُ وليل سد ".

ج) وصف مفرد للمضاف إليه:وصف خديْه"ملمع الخدين" صفة قبل الموصوف.

د) وصف مفرد للمضاف إليه:وصف القرن "سلب المذود"صفة قبل الموصوف

هـ) جملة فعلية : وصف حال قلب الثور في جبنه " نخب القلب " أى جبن.

و) جملة فعلية : وصف لأكرع الثور "قد أردفت أكرعه بالمزمع الأسود".

ز) وصف مفرد : وصف لسير الثور " مستعرض المغرب لم يعضد ".

**المرحلة الثانية في الوصف بالتشبيه وذلك بتشبيه المشبه به بمشبه به جديد :**

١. تشبيه عيون الثور بالمرأة التي تنظر من البرقع " كأنما ينظر في برقع ".

٢. تشبيه انصات الثور بإصاخة الطالب للمعرِّف "إصاخة الناشد للمنشد ".

٣. تشبيه فزع الثور بحال أمعاء الإنسان الفزع "مور عصافير حشى المرعد ".

٤. تشبيه الغبار تابع للثور عند جريه بحبل الليف "مثل رشاء الخُلُبِ الأجرد ".

٥. تشبيه انكشاف الغبار عن الثور بـ" انحسار النجم عن الفرقد " وفرقد : نجم .

**المرحلة الثالث من الوصف الثور : وصف أشياء متعلقة به .**

١. البلد التي يمر عليه الثور: " في بلدة تعزف جنانها فيها خناطيل من الرود "

ثم يستمر في ذكر صفات هذه الناقة مشبهاً لها بالثور الوحشي (أسفع) ثم يغرق في هذا الوصف حتى يفيق على عبارة غريبة وهى (فذاكم شبهته ناقتي) أي انتبه أيها السامع إن تلك الصفات ليست صفات لناقتي، بل صفات الثور وأن ناقتي تشبه هذا الثور فقط ، وما هذا الثور يشبه أيضا أشياء؛ ذكرناها آنفا.

**اللوحة الثالثة: "وصف الفرس"**

عودة للوصف من خلال وصفه لفرس يشبه ناقته، ويأتي ذلك في الجزء الأخير للقصيدة على النحو الآتي:

أولا : وصف جسد الفرس نحو:

١. الوصف بالجر والمجرور لصفة ارتفاع الفرس " بالمفرع الكاثبة الأكبد ".

ثانيا : وصف الفرس بتشبيهه بالصقر ثم وصف الصقر:

١. تشبيه الفرس بالصقر الذي يصطاد السمان "كالأجدل الطالب رهو القطا".

٢. وصف حركة الصقر النشيطة : " مستنشطا في العنق الأصيد ".

٣. وصف صيد الصقر في وكره بجعبة السهام التي يضع الصياد أدواته فيها :

**" تجمع في الوكر وزيما كما يجمع ذو الوفضة في المزود "**

**ملاحظات على تراكيب اللوحة الثانية والثالثة:**

ولو أن ننظر إلى تلك الجمل التي عرضنا لها آنفا التي هي مجموعة صفات لتلك الناقة؛ نجد أنها أتتْ في جمل ذات تراكيب خاصة هى :

**١ - إقحام إن الشرطية بين كاد ومعموليها:**

(تكاد[١] إن حرك مجدافها تنسل من مثناتها واليد)، ولهذا العمل دلالة، وهى إظهار أن هذا الحدث (تنسل) مقرون بشرط هو الفعل (حرك) مما يوضح دقة الوصف عنده، وقد قام بهذا في البيت الذي يليه، حيث جعل الفعل (لا يرفع) مقروناً بشرط آخر هو (تخويد المهاري)، أو كما قال: إذا المهارى خودت في البد.

**٢- الاهتمام بجزئيات الصورة بوسائل التركيبية:**

فكما رأينا أنه جعل الحدث مقرونا بالشرط، نحو تكاد إذ حرك... لا يرفع السوط.. إذا.. "كذلك جعل كل من جملة الصفة والجار والمجرور والجملة الفعلية والمضاف إليه وسائل لتوضيح جزئيات الصورة، فالفعل تسمع له مفعول وهو تعزافا يدركه بجملة اسمية صفة للمفعول له رنة، ثم يستخدم الجار والمجرور لتحديد موضع الصوت في باطن الوادي وفي القردد، وهذا يمثل خلفيات الصورة لأن هذا الصوت لا يكون له صفة القوة أي صدى الصوت إلا في الفراغ الكبير باطن الوادي؛ وكذلك هذا الثور يتحرى الشاعر الدقة في وصفه بالمضاف إليه (ذو جدة = خطة في ظهره) ثم تأتي جملة فعلية (يمسده الوبل وليل سد) أي أنه أكل ما نبت بهذا الوبل فمسد عليه).

أيضاً ينقلنا من الرأس إلى القدم في وصف جميل لهما في جملتين الأولى اسمية حذف المبتدأ فيها والثانية فعلية فهو (ملمع الخدين) أي في وجهه بقعة سوداء ذات لمع، ثم ينقلنا في سرعة إلى قدمه (قد أردفت أكرعه (ما دون الكعب) بالزمع الأسود) فهو مهتم بأول شيء في الثور إلى آخر جزئية فيه وهي الشعر الذي خلف الظلف.

---

(١) في رواية الديوان (إذ) ٣٣ وفي الصحاح (١٣٣٦) حذف وجمهرة اللغة (٧٢/٢) ٢٨٧ إن وكذلك مجمل اللغة مادة (جذف).

**الوصف التصويري:**

لا يكتفي الشاعر بوصف جزئيات جسم الثور بل يأتي ليصف شيئاً في وجهه ولكن من خلال صورة أخرى لمرأة تنظر من خلال برقع يريد أن وجهه أبيض وعينيه سوداوان؛ فيقول: كأنما ينظر في برقع ولا ينظر من برقع إلا المرأة، ثم يدركنا بجزئيات الصورة التي تنبهنا أنه إنما يتحدث عن ثور وليس عن امرأة، بالجر والظرف (من تحت روق) قرن سلب المزود (أي طرف قرنه) إذن فهو يصور جزئية ثابتة بصورة متحركة وهي صورة المرأة التي تنظر من البرقع ثم يأتي الانحراف أو العدول ليوضح الصورة حيث يعدل عن وصف المرأة إلى وصف الثور.

**ثانياً: تصوير عن طريق المفعول المطلق** فهو يصور استماع وإنصات الثور لما حوله من أصوات استماع الناشد للمنشد، فهو يستخدم الفعل يصيخ ليصور الثور ويستخدم المفعول المطلق منه "إصاخة" ليصور استماع الناشد للمنشد يقول

**يصيخ للنبـــأة أسماعــه إصاخة الناشد للمنشــد**

ويكرر هذا التصوير بالمفعول المطلق مرة أخرى في البيت الذي يليه قائلاً (مارت به مور عصافير حشى المرعد) وهو مثل يقال: طارت عصافير رأسه من الفزع أي مارت مور[1].

**٣- استخدام كأن للتشبيه ثم تكرارها، ولكن بصور مختلفة:**

فهي في الحالة الأولى لتشبيه الناقة بالثور الوحشي (كأنها أسفع) ثم يكررها كأن بعد قليل، ولكن لتشبيه الثور بالمرأة التي تنظر في برقع، يريد أن وجهه أبيض و أن عينيه سوداوان، ولهذا يمكننا القول: إنه يولد هنا من الوصف وصفا آخر، حيث يخرج من تشبيه الناقة بالثور إلى تشبيه الثور بالمرأة.

---

(١) وذكر هذا المثل ابن سلمة في الفاخر قال (قولهم: صاخت عصافير بطنه إذا جاع قال الأصمعي: العصافير الأمعاء.. قال المثقب العبدي: فنخب القلب ومارت به مور عصافير حشى المرعد مارت به، أي اضطربت به يعني أنه يقول: سمعت حساً اضطربت منه، انظر الفاخر:لا بن سلمة ، الهيئة المصرية للكتاب ،١٩٧٩، ص ١٣٠

**٤. قد يكون التشبيه بتكرار الفعل نفسه:**

كما في "تنحسر الغمرة عنه كما ينحسر النجم عن الفرقد" وقوله "يجمع في الوكر وزيما كما يجمع ذو الوفضة في المزود" حيث كرر الفعلين ينحسر ويجمع والشاعر في هذا الموضع لم يشبه شيئاً بشيء، بل يشبه صور متحركة بصورة أخرى متحركة؛ فكل من الفعلين يجمع وينحسر مضارعين يدلان على الحركة.

ثم يأتي هذا البيت ليمثل انحرافا للشاعر عما كان فيه بعد أن أغرقنا تشبيهاً لهذه الناقة بالثور إذا به يقول: إن ما سبق من وصف لهذا الثور أو قل إن هذا الثور بكل صفاته هو يشبه ناقتي "فذاكم شبهته ناقتي " فهو انحراف على الخط الوصفي الذي يسير عليه؛ ثم يعود مسرعا إلى وصفها ولكن بالفرس وصفا مركبا في الأبيات الأخيرة، ثم يصف الفرس بالصقر ويوغل في وصف الصقر كأنه يصف الصقر لا الفرس الذي يشبه الناقة بل لا يكتفي بذلك بل يشبه الصقر حين يجمع في وكره اللحوم المجففة بالراعي يحمل في جعبته السهام، فهو تشبيه في تشبيه (الناقة> بالفرس> بالصقر> بالراعي) هذا معنى ما نقصده من خاصية هامة عند المثقب العبدي (بالوصف التوليدي) حيث يولد من وصف الناقة بالفرس وصفها بالصقر ثم يولد من الأخير وصفه بالراعي.

وفي البيان والتبيين يقول الجاحظ "وقال المثقب العبدي في استماع الثور وتوجسه وجمع باله إذا أحس بشيء من أسباب القانص وذكر ناقة".

**كأنها أسفع ذو جدة ... يضمه القفر وليل سد**[1]

**كأنما ينظر من برقع ... من تحت ورق سلب المذود**

**يصيخ للنبأة أسماعه ... إصاخة الناشد للمنشد**

**ويوجس السمع لنكرائه ... من خشية القانص والمؤسد**

---

(١) البيان والتبيين: الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون الخانجى القاهرة ، ١٩٧٥ ٢/٢٨٨.

٥- **تكرار التعليل للحدث الواحد:** استخدام الفعل (صم) وجاء له بتعليلين:

١- لنكرية (أي صوت منكر)

٢- من خشية القانص والمؤسد) أي أنه أنكر صوت خشية أن يكون صوت الصائد أو كلابه؛ فالبيت ضم جملة واحدة فعلها ضم ثم المفعولين وتعليلين.

مثال آخر للبيت الوصفي: فعندما يريد أن يصف الغبار الذي يتبع الثور يقول:

**يتبعه في إثره واصل مثل رشاء الخلب الأجرد**

جاء بعدة وسائل للوصف: ١- جاء بجملة فعلية فعلها مضارع (يتبعه) والجار والمجرور (في إثره) وقد كان يكفي الفعل "يتبعه" للدلالة على التبعية؛لكن دقته في الوصف قال: "في إثره" ثم أطلق كلمة واصل على العبارة ليؤكد التبعية، وواصل بمعنى موصول، ولم يكتف بهذا بل جاء بتشبيه ليوضح الصورة أكثر فقال: مثل رشاء الخلب الأجرد، أي مثل حبل الليف الأملس فهو (أي الغبار) حبل ممتد خلف الثور أملس حتى قال ابن دريد: لم يوصف الغبار بأحسن من لفظ هذا قط[١].

## تحليل إجمالي لبعض الظواهر اللغوية والأسلوبية في القصيدة :

### أولا : في ضوء علم تراكيب الجمل :

سبق أن تحدثنا عن هذا العلم الذي يقوم بالتحليل التراكيبي للجمل، فقد "تكونت بالتجربة قائمة بالمقابلات بين التعابير الاصطلاحية، بين مختلف اللغات الأوربية المعاصرة، أو جدول بالتعابير الاصطلاحية، في اللغة الواحدة "[٢] هذا العمل هو ما يقوم به علم تراكيب الجمل في جدولة التعابير الاصطلاحية حيث يدرس أشكال الجملة الخاصة بلغة معينة، لوضع لائحة بهذه الأشكال، ثم تصنيف هذه اللائحة وفق مواقف التواصل أو وفق مستويات النوع الأدبي، فإن الدراسة خاصة بلغة ما يجب عليها أن تقدم تصنيفا لهذه اللغة وفق المواقف

(١) انظر جمهرة اللغة:ابن دريد ،مكتبة الثقافة الدينية ١٣٩/١ مادة "حلب".

(٢) الأسلوبية :٥١

التواصلية بين أبناء هذه اللغة، فتجعل لكل نوع من الأحاديث بينهم جدولا خاصا من التعابير الاصطلاحية الخاصة بهم، أمَّا إذا كانت هذه الدراسة حول لون من الألوان الأدبية؛ فعليها أن تقدم جدولا خاصا بكل مستوى من مستويات ذلك اللون الأدبي يحوى التعابير الاصطلاحية الخاصة بهذا اللون.

هذا الجانب الأخير من الأمر هو ما يتصل بنا في هذا العمل وهو استخراج التعابير الاصطلاحية الخاصة بهذا الأديب ( المثقيب العبدي) وذلك بغرض صنع قائمة من التعابير الخاصة به، يمكن جمعها من كل قصائده على امتداد ديوانه، ووضعها في جدول يمثل أسلوبه الخاص به دون سواه من الشعراء.

فعلم تراكيب الجمل ليس علما معياريا يبحث عن الصواب من الخطأ في العمل الأدبي، لكنه يجمع السمات الخاصة بالأديب في شكل جدول خاص بتعابيره الاصطلاحية الخاصة به ، ومن هنا ظهرت العلاقة بين علم تراكيب الجمل والأسلوبية في الموضوع، حيث " يتكون هذا الموضوع أساسا من اللغة العاطفية والعفوية، التي تتميز بمجموعة من الوقائع الإيحائية . ومن الممكن إدراك هذه اللغة العاطفية في الأحاديث المتبادلة، وفى النصوص المكتوبة في الرسائل، والصحافة، والإدارة، والتجارة... وفى الأدب "[1].

**عمل الباحث في التحليل وفق علم تراكيب الجمل :**

" يعكف المحلل حصرا وشمولا - كما في كل مقاربة تختص بعلم تراكيب الجمل - على دراسة ما لا يقتصر في الخطاب على الترتيب المعياري للمفردة والنحو والصور البلاغية، ويمكن لهذه الوقائع أن تصنف هى نفسها في لوائح. فعلى خلاف علم تراكيب الجمل الصِّرْف والبسيط، تقدم أسلوبية (بالي) عدة سلسلات من التصنيفات وعدة قوائم من المناهج، وهى تعد وسائل من التعبير شكلية "[2].

ولكن ما المقصود بهذا التحليل وفق هذا العلم ؟

---

(١) الأسلوبية :٥٣

(٢) المرجع السابق :٥٤

" يتم استخراج الوقائع الخاصة في الخطاب المدروس ويتم تفكيكها، دون السؤال عن خصائصها الأدبية ، وتظهر بوضوح الطبيعة اللسانية للواقع المدروس. فالمقصود ليس وقائع لسانية، لأن اللسان هو ما هو عليه في تركيبته والمقصود ليس وقائع الكلام حتى،فتسجيلها غير محدد ولا يمكن أن ينضوي في إطار علمي، أيا كان هذا الإطار. لكن المقصود هو، وفى العمق، وقائع اللغة واللغة الفردية، التي ترجع إليها بالضبط صفة لغوية، ...إن لعبة التوافقات مع مواقف التبادل الكلامي، وبالتالي الاهتمام، عند الناقد بهذه التوافقات، هى التي تنتشر فيها أساسا الخصائص اللغوية المتعلقة بمستويات التعبير المختلفة (مثل الدارج أو المتكلف) "[١].

من هذا القول يتبين أن هناك تعابير اصطلاحية لدى لكل فرد (عامي أو أديب ) يمكن استخراجها من كلامه أو أدبه، بها الصفة الأساسية للأسلوبية؛ وهى السمات الخاصة بالمتكلم، جاءت في شكل تعابير خاصة به، جعلته متفردا عن غيره، وأوضحت سماته اللغوية والطبقة الاجتماعية التي ينتمى إليها.

ويمكن تطبيق ذلك على قصيدة المثقب العبدي هذه؛ باستخراج التعابير الاصطلاحية عنده، والتي تصور خصائصه الأسلوبية، وذلك بغرض الوصول إلى تصور عن اللغة الانفعالية والإيحائية للمثقب التي تجعله متميزا، وتمثل بصمته الأسلوبية .

وقد أطلق على هذه الظاهرة د. سعد مصلوح اسم "العبارات المفضلة" قائلا: (وقد تكون بعض هذه الخيارات علامة مميزة لأسلوب المنشئ فقد كان للرافعي رحمه الله ايثارات مميزة ككلمة (الدخينة) تعريبا لكلمة السيجارة والتعبير بقول (آخر أربع مرات) بديلا للتعبير الشائع (رابع مرة) كما كانت له ابتكارات خاصة من مثل قوله (أما قبل) قياسا على التعبير الشائع (أما بعد) وهكذا[٢].

---

(١) الأسلوبية : ٥٤

(٢) الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية: ٢٤.

وقد وجدت في قصيدة المثقب هذه ابتكارات لعبارات افتتن بها افتتانا وهي هذه العبارة (تعزف جنانه) في هذا البيت:

**في لاحبٍ تَعْزِفُ جِنَّانُهُ منفهق القفرة كالبُرْجُدِ** (١)

وقد كرر هذا التعبير في موضع آخر من القصيدة نفسها :

**في بلدةٍ تعزف جِنَّانُها فيها خناطيلُ من الرود** (٢)

وقد أوضح محقق الديوان مدى افتتان العرب بهذه العبارة بقوله "تعزف: تصوت، والعرب تجعل العزيف - وهو صوت الرمال إذا هبت بها الرياح- أصوات الجن، ... وقيل هو صوت الرياح في الجو فتوهمه أهل البادية صوت الجن. وقد كرر المثقب هذه العبارة، ... وقال بشر بن أبي خازم:

**وخرقٍ تعزفُ الجنانُ فيه فيافيه تطير بها - السهام.**

ويقول الأعشى ميمون بن قيس: **ويهماء وتعزف جنانها...**

ويقول طرفة بن العبد: **وركوب تعزف الجن به...** (٣)

وهذا الكلام يوضح افتتان العرب بهذه العبارة، ولكن تكرارها عند المثقب يوضح أنها أصبحت تعبيرا مفضلا عنده كما سنرى في القصائد التالية.

وقد أطلق عليها د.محمد العبد اسم"القوالب اللفظية" وتناولها بدراسة، ولكن على مستوى الشعر الجاهلي كله قائلا " هى تراكيب لغوية عرفية، تجرى على ألسنة أبناء اللغة، للتعبير عن فكرة أو معنى ما، دون تغيير جوهري في عناصرها وأبنيتها اللغوية، فهى أشبه لذلك بما تعرفه كل لغة عادة من كليشهات ثابتة، يحافظ على مفرداتها وتراكيبها النحوي، وقد تنتقل من متكلم إلى آخر انتقالا آليا محضا، ... وتختلف القوالب اللفظية - بالمفهوم البسيط السابق - عن القوالب النحوية، مثل: أما وقد وليس فقط... ولكن أيضا ... إلخ، من حيث إن هذه

(١) الديوان ٣١.

(٢) الديوان ٥٠.

(٣) الديوان ٣٢.

القوالب الأخيرة ذات وظيفة تركيبية محضة، ولا تتعلق بمسألة المعنى. ومن أمثلة (الكليشيهات) الشائعة في الشعر الجاهلى { تبصّر خليلي } في قول النابغة

٧- **تبصَّر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جُرثم"[١]**

**وقد جمعت هذه العبارات الاصطلاحية المفضلة لدى المثقب التي تعد سمة أسلوبية في اختياره لعباراته هنا تحت العنوان نفسه " العبارات المفضلة" حيث تكثر في شعر المثقب تلك العبارات منها :**

أ) التعبير (تعزف جنانه)، ويرد في قصيدته الأولى أكثر من مرة نحو:

١- في لا حب تعزف جنانه منفهق القفر كالبرجد

٢- تسمع تعزافًا له رنة في باطن الوادي وفي القردد

٣- في بلدة تعزف جنانها فيها خناطيل من الرود[٢]

وهنا تكرار لكلمة تعزف تعزافًا، وتركيب (تعزف جنانه، جنانها)

ب) وكذلك هذه العبارة (إلى... ) ويرد هذا التركيب عند المدح، و تكرر عدة مرات في ديوانه منها (إلى عمرو) مرتين، (إلى ملك، إلى خير من..) وهذا التركيب في المدح فقط نحو:

١- وإلى عمرو وإن لم آته تجلب المدحة أو يمضى السفر.

٢- وقد أدركتها المدركات فأصبحت إلى خير من تحت السماء وفودها.

٣- إلى ملك بَذَّ الملوك بسعيه أفاعيله حزم الملوك وجودها.

٤- إلى عمرو، ومن عمرو أتتني أخي النجدات، والحلم الرصين[٣]

ج) وكذلك هذا التركيب : (بَذَّ ...) الذي ورد في القصيدة الثالثة مرتين هما:

---

(١) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي:د.محمد العبد ،أكاديمية الكتاب الجامعي، ٢٠١٣ص٧٥

(٢) الديوان٣١، ٣٥، ٥٠.

(٣) الديوان٦٨، ١٠٥، ٢٠٨.

١- كما بَذَّ النجوم سعودها.

٢- إلى ملك بَذَّ الملوك بسعيه .

**ثانيا: أسلوب المثقب في رسم لوحته في جانب الوصف :**

في إطار نظرة شاملة لأسلوب الشاعر في رسم لوحاته؛ وتوظيفه لكل وسائل اللغة المتاحة له لتحقيق هذا الهدف؛ فنلاحظ في الجانب الوصفي :

تنوع أساليب الوصف والموصوف لدى المثقب ووسائله ،فهي ما بين:

١- الوصف الجسدي للناقة: بقوله" لُكية معجمة الحارك... "

٢- الوصف الحركي: بوصف حركة سير الناقة على الحصى "كأنما أوب..."

٣- وصف الطريق الذي تسير عليه "في لا حب... تعزف جنانه..."

٤- وصف سلوك الناقة مع راكبها "لا يرفع السوط لها راكب..."

٥- وصفها بالثور"أنها أسفع ذو جدة.."ويستمر في هذا الوصف حتى البيت الواحد والثلاثين، وكلها في وصف الناقة بالثور، وهو بذلك يلتفت من الحديث عن الناقة إلى الحديث عن الثور.

٦- ثم يعدل عن ذلك الوصف بالثور إلى أنه "أي الثور" يشبه فقط ناقته.

٧- ثم يرجع إلى وصفها مرة أخرى؛ ولكن بالفرس.

٨- ثم يصف الفرس بالصقر.

**أنواع التراكيب الوصفية عند المثقب :**

١- الوصف المفرد نحو: "عرفاء، وجناء، وجمالية..

٢- وصف الجملة بنوعيها نحو: " ينبي تجاليدها واقتاداها ناو".

٣- وصف شبه جملة: في اليوم أو في غد.

٤- إضافة الصفة للموصوف: نحو (معجمة الحارك) وهو عدول حيث قدم الصفة على الموصوف أو كما يقول النجاة إضافة الصفة للموصوف ومثلها (مكربة ارساغها) قدم الصفة على الموصوف.

٥- الوصف باستخدام أدوات التشبيه المختلفة : اسم وفعل وحرف.

أ - الكاف (حرف) نحو: كرأس الفدن، كركن الحجر الصلد، كما ينحسر، كما يجمع، كالأجدل.

ب- كأن (حرف) نحو: كأنما أسفع ذو جدة، كأنما ينظر في برقع، كأنما أوب يديها

ج- كلمة "مثل" نحو: مثل رشاء الخُلُب الأجردِ.

د- الفعل "شبه" نحو: فذاكم شبهته ناقتي.

هـ- المفعول المطلق نحو: مارت به مور، يصيخ للنبأة إصاخة الناشد للمنشد.

**٦- الوصف التوليدي:**

يصف الناقة بالثور ويغرق في وصفه، فيطيل في وصف الثور، ثم يخرج من ذلك إلى وصف الغبار الخارج خلفه ، ثم يصف هذا الغبار بحبل من الليف الأملس،ثم يصف انحسار الغبار عنه كانحسار النجم عن الفرقد، فهو يخرج من وصف إلى وصف، ويولد من كل وصف وصفاً آخر.ثم يعدل عن تلك الصفات ليرجع إلى الواقع، وهو أنه يصف ناقته، وليس فرسا.

وصورة أخرى للوصف التوليدي حيث يصف الناقة بالفرس ثم يصف الفرس بالصقر الذي يطير خلف القطا، ثم يصف الصقر في جمعه للحم الجاف في وكره بالراعي الذي يجمع السهام في جعبته.

**٧- المكان والزمان:**

احتل المكان والزمان في وصف المثقب المكانة العالية حيث اعتبرهما أداتين لتحديد إطار الصورة وإعطائها الخلفية المناسبة ولهذا فهو لا يكتفي بتحديد مكان أو زمان الحدث، بل إنه يقوم بوصف المكان أو الزمان وصفا دقيقا في جمله كما في هذه الصورة:

**في بلدة تعــزف جنانها فيها خناطيل من الـــرود**
**بالمربأ المرهوب أعلامه المفرع الكاثبة الأكبـــد**
**في لا حب تعرف جنانه منفهق القفرة كالبرجـــد**
**تسمع تعزافـاً له رنــة في باطن الوادي وفي القـردد**

فقد وصف المكان (في بلدة) بجملة فعلية،وكذلك المربأ (المرهوب أعلامه) وكذلك (في لا حب) وصف بجملة فعلية (تعرف جنانه) وقد فتن بهذا الوصف وكرره مرتين في هذه القصيدة أو تحديد مكان الفعل (في باطن الوادي) كما في هذا البيت:

**إذا لم أجد حبلا له مرة إذ أنا بين الخل والأوبد**

أو تحديد زمان الفعل نحو: من نهلة في اليوم أو في غد - إلا ببدرى ذهب كل صباح آخر المسند.

**٨- الوصف بالحال:**

يستخدم المثقب الحال بأنواعه لوصف ما يريد، حيث يصف بالحال المفرد نحو: "فذاكم شبهته ناقتي مرتجلا" أو جملة نحو: " تندبه رافعة المجلد" "يجزى به الجازون عني".

**٩- الوصف بالنفي:**

استخدم الشاعر التركيب (لم + الفعل) ليصف أو يكمل صورة وصفية، وهذا كثير عنده نحو (بما شئنا ولم يوجد - لتقسيمه أمر فريقين ولم يبلد - مستعرض المغرب ولم يعضد - مرتجلا فيها ولم أغتد)

**١٠- الوصف بالصورة المتحركة:**

**كأنما ينظر في برقع من تحت روق سلب المذود**

حيث يريد وصف وجه الفرس بالبياض وعينيه بالسواد؛ فركب لذلك صورة متحركة، فصوره بالمرأة التي تنظر في برقع وحتى لا يكون الوصف للمرأة قال: من تحت روق سلب المذود. لقد استخدم المثقب كل إمكانيات اللغة للهدف الأكبر عنده وهو الوصف. لقد تعاونت كل من الدلالة والتراكيب في هذه القصيدة - كما رأينا آنفا – حيث تعاونت التراكيب المختلفة من استثناء وحال وجملة وشبه جملة وغيرها لتوضيح دلالة معينة وهي الوصف.

وفي النهاية وانطلاقا من رأي د.حماسة "أنه يجب دراسة كل قصيدة على حدة واستخراج خصائص الجملة فيها ورصد ظواهرها الأسلوبية التي تشيع في استعمالها" ويقول في موضع آخر:"والسبيل الصحيحة لتعرف خصائص الجملة في الشعر - فيما أرى - أن تدرس قصائد كل شاعر في مرحلة محدودة قصيدة قصيدة ... إن كل قصيدة - إذن - لها خصائصها التركيبية الخاصة بها التي تتفاعل داخلها، وعلينا أن ننتبه لهذه الخصائص في داخل القصيدة ولا يكون البحث عن شخصية الجملة في القصيدة إلا وسيلة لمحاولة فهمها على المستوى

التركيبي[١]. وانطلاقا من هذا كانت دراسة هذه القصيدة دراسة مستقلة تحليلية لكل من تراكيبها ودلالتها.

## ثالثا: أسلوب العرض وتوظيف تراكيب اللغة:

لقد استخدم المثقب الأسلوب الخبري في جمل فعلية لأنه يشير إلى حركة (حرك الناقة) فلو حصرنا عدد الجمل الفعلية إلى الجمل الاسمية لوجدناها ثلاثين جملة فعلية؛ مقابل عشر جمل اسمية أي بنسبة ١:٣. بل إن هذه الجمل الفعلية يغلب عليها الفعل المضارع بالنسبة للماضي، فالفعل المضارع بلغ عشرين فعلاً والماضي عشرة أفعال بنسبة ١:٢. لماذا الأسلوب الخبري؟ لأنه يصف، والوصف إخبار عمَّا في دابته من صفات، وهو يحكي لنا أي يخبرنا، ولماذا الجمل الفعلية؟ لأنه يصف متحركا (الناقة في حركتها) فجاءت جمله فعلية يغلب عليها الفعل المضارع الدال على الحركة نحو (تعطيك - تلوفيت - ينبي - تنمى - تندبه - كلفتها - تنسل - يرفع - يمسد - أردفت - يصيخ - يتبعه - تنحسر - أغتد - يجمع...)

بل إنه لا يكتفي بالأفعال التي تدل على الحركة، فيضيف إلى فعل الحركة شرطاً حركياً آخر؛ فيقول:

**لا يرفع السوط لها راكب إذا المهارى خودت في البـد**
**تكاد إن حرك مجدافهـا تنسل من مثناتها واليـد**

فكل حركة في البيتين مرتبطة بحركة أخرى، فهي تنسل من مثناتها (أي زمامها) واشترط لذلك أن يحرك مجدافها (أي سوطها) وهي لا تحتاج إلى أن يرفع لها الراكب السوط، واشترط لذلك حركة أخرى هي إذا المهاري أسرعت في السير.

موقف الشاعر من الشعر الجاهلي :

لقد تميزت القصيدة الجاهلية بخصائص معينة؛ يشترك فيها الشاعر بصفته شاعر جاهلي، ولكنه تميز بخصائص تميز بها عن غيره، وبعض الانحرافات عن أسلوبهم، ومنهجهم.

---

(١) الجملة في الشعر العربي ٤٩، ٦١.

فمن خصائص الشعر الجاهلي:

١- البدء بالمقدمة الغزلية ثم وصف الناقة.

٢- الجمل الطويلة التي تأتي منها جمل كثيرة بغرض الوصف.

**من خصائص الشاعر:**

**١- الوصف التوليدي:**

يقوم الشاعر بأخذ أحد أركان الجملة أو مكملاتها ليكوِّن منها جملة، تكون صفة وامتداد للجملة الأولى، وكذلك يصف الصفة بصفة جديدة، ثم يصفها بصفة جديدة، نحو: وصفه الناقة بالفرس ثم يصف الفرس بالصقر ثم يصف الصقر بالراعي وذلك في جمل وصفية (غالباً فعلية).

**٢- أنماط التراكيب عنده:**

التزم الشاعر بمجموعة أنماط تركيبية لجمله، تنم عن خصائصه الأسلوبية نحو:

أ- الاستثناء: ويتكون من: المستثنى + جملة فعلية تصف المستثنى.

ب- النفي: ويأتى على هذا النمط فقط "لم + الفعل المضارع". فينفى الجملة الفعلية فحسب .

ج- الشرط يأتى على هذا النمط: جواب الشرط + أداة الشرط + فعل الشرط. حيث يقدم جواب الشرط على أداة الشرط وفعل الشرط .

د- الاستفهام ويتكون من: أداة الاستفهام +شبه الجملة (خبر مقدم) + اسم (مبتدأ مؤخر) .فيقدم خبر المبتدأ عليه في أسلوب الاستفهام.

٣- التعبير عن الصفة المفردة في جملة فعلية حركية كما حدث في وصفه لسرعة وقوة الناقة.

٤- التدرج في الوصف: فيصف الناقة وصفا مفردا، ثم يليه بشبه جملة، ثم يلي ذلك جملة فعلية أو اسمية.

٥- الاهتمام بجزئيات الصورة: فلو وصف حدثا معينا اهتم بخلفيات هذا الحدث من مكان وزمان وأشخاص؛ فصور كل واحد منهم في إطار الصورة العامة له، واستخدام الشرط وقدم الجواب على الفعل؛ فيوهمنا أنها جملة فعلية، ثم

يدركنا بجواب الشرط؛ لنعرف أن هذا الفعل مرهون بفعل قادم (فعل الشرط).

**الانحراف:**

ويحدث الانحراف عنده في:

١- الوصف: فهو يستمر في وصف ناقته بالثور، ثم ينحرف عن ذلك الوصف قائلاً (فذاكم شبهته ناقتي)أي ليس هذا ناقتي، بل هو الثور الذي يشبه ناقتى.

٢- ونتيجة للوزن: انحرف بهذه الكلمات بدرة التي جاء بها على صورة بدر، وكذلك كلمة غانية التي أصبحت غان.

٣- إضافة الصفة للموصوف ، نحو : معجمة الحارك.

٤- الإقواء: وهو خضوع حركة القافية لقواعد اللغة، فجاءت مرفوعة والقافية مجرورة، نحو : "عرض المائة الجلمد" ، والقافية تقول جلمد.

**أثر الدلالة في التراكيب:**

أثرت الدلالة على تركيب الجملة، حيث كثرتْ الجملة الفعلية المضارعة الوصفية خضوعا لطبيعة الموضوع أي دلالته على الحركة؛ فهو لكي يدل على الحركة (حركة الناقة) اختار من التراكيب الجمل الفعلية، ومن الأفعال الفعل المضارع، ففي القصيدة أربعون جملة فعلية، منها ثلاثون فعلا مضارعا ، وعشرة أفعال ماضية.

كذلك اختياره للفعل المبني للمجهول، وهو كثير يصل إلى عشرة أفعال ، وفي المقابل ثلاثون فعلا مبنيا للمعلوم.

## القصيدة الثانية

١- هلْ لِهذا القلبِ سَمْعٌ أوْ بصرْ ... أو تناهٍ عن حبيبٍ يُذَّكَرْ
٢- أو لِدَمعٍ عن سَفاهٍ نِهْيَةٌ ... تُمْتَرَى مِنْهُ أَسَابِيُّ الدِّرَرْ
٣- مُرمَعِلاتٌ كَسِمْطَيْ لُؤْلُؤْ ... خَذَلَتْ أَخْرَاتُهُ، فيهِ مَغَرْ
٤- إنْ رأى ظُعْناً لِلَيْلى غُدْوَةً ... قد عَلا الحَزماءَ مِنْهُنَّ أُسَرْ
٥- قد عَلَتْ من فَوقِها أَنْماطُها ... وعلى الأحْداجِ رَقْمٌ كالشَّقِرْ
٦- وإلى عمرٍو وإنْ لم آتِهِ ... تُجلبُ المِدْحَةُ أو يَمْضِي السَّفرْ
٧- واضحُ الوجهِ، كريمُ نَجْرُهُ ... مَلَكَ السَّيْفَ إلى بَطنِ العُشَرْ
٨- حُجُرِيٌّ عائِدِيٌّ نَسَباً ... ثُمَّ للمُنْذِرِ إذْ جَلَّى الخَمَرْ
٩- بَاحِرِيُّ الدَّمِ، مُرٌّ طَعْمُهُ ... يُبرِيءُ الكَلَبَ إذا عَضَّ وَهَرْ
١٠- كُلُّ يومٍ كانَ عَنَّا جَلَلاً ... غيرَ يَومِ الحِنوِ في جَنَبيْ قَطَرْ
١١- ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فِينا ضَرْبَةً ... أَثْبَتَتْ أَوْتَادَ مُلْكٍ مُستَقِرْ
١٢- صَبَّحَتنا فَيْلَقٌ مَلمُومَةٌ ... تَمْنَعُ الأعقابَ مَنْهُنَّ الأُخَرْ
١٣- فَجَزَاهُ اللّهُ مِنْ ذى نِعْمَةٍ ... وَجَزاهُ اللّهُ إنْ عَبدٌ كَفَرْ
١٤- وأَقامَ الرَّأْسَ وَقْعٌ صادِقٌ ... بعدَ ما صافَ،وفي الخدِّ صعرْ
١٥- ولَقَد رَامُوا بِسَعيٍ نَاقِصٍ ... كَيْ يُزِيلُوهُ ، فأعْيا وأَبَرْ
١٦- ولقَدْ أَوْدَى بِمَنْ أودى بِهِ ... عَيْشُ دَهْرٍ كانَ حُلْواً فَأَمَرْ[1]

### المقاربة الأسلوبية بين القصيدتين (الأولى والثانية)

القصيدة الثانية يبدأ الشعر فيها بمقدمة غزلية وهي اللوحة الأولى في القصيدة أما اللوحة الثانية فهي مدح لعمرو بن هند الملك.

(١) الديوان ٦٢-٨١.

**اللوحة الأولى المقدمة الغزلية:**

١- ويبدأ الشاعر فيها بسؤال - كما في القصيدة السابقة، والسؤال هنا لإثارة انتباه سامعيه؛ والدلالة على الحيرة التي فيها الشاعر ، كما يؤكد هذا تركيب السؤالين؛ فالسؤال الأول كالثاني يحيط به الغموض، فهو يقول:

**هل عند غان لفؤاد صـد  من نهلة في اليوم أو في غد**

وفي السؤال الثاني يقول:

**هل لهذا القلب سمـعٌ أو بَصَرْ  أو تناءٍ عن حبيبٍ يُدَّكَرْ**

لقد استخدم في كلا السؤالين أداة استفهام واحدة (هل) ثم أتي بعد ذلك بغموض في كليهما ، حيث يقصد بهذه الكلمات (فؤاد صد - هذا القلب) نفسه، ورغم ذلك كان الأول نكرة فؤاد صد ، والثاني على الرغم من أنه عُرِّف بالإشارة إلا أنه ما زال نكرة، حيث يشير إليه كأنه شيء خارجه على الرغم من أن القلب داخل الإنسان؛ فكان عليه أن يقول: هل لقلبي سمع أو بصر؟ إذن هذا الغموض في السؤالين، الذي نلمحه من تنكير الفؤاد والإشارة إلى القلب؛ يثير انتباه السامع، ويجعله يشارك المتكلم في البحث أو التفكير معه في إجابة على سؤاليه.

٢- كما نلاحظ تقديم الخبر في السؤالين على المبتدأ؛ وقد طغت الدلالة على التركيب، فالحيرة التي تسيطر عليه جعلته يقدم الخبر فيها ويغير التركيب خضوعا للدلالة.

٣- والملاحظة المشتركة بين القصيدتين أو قل المقدمتين الغزليتين هي الجملة الطويلة الممتدة نجد هنا أيضا - كما رأينا آنفا- جملة ممتدة في ثلاثة أبيات: فالجملة عندنا سؤال بهل. قدم الخبر فيه، لماذا؟ لأنه سيطيل الحديث عن المبتدأ، بل سيجعل المبتدأ متعددا بالعطف، فهو سمع، أو بصر، أو تناه؛ أي انتهاء، ثم يكرر السؤال ولكن بالعطف على أداة الاستفهام هل، أي انتبه أيها السامع؛ فنحن لازلنا في السؤال نفسه (هل)، والطريقة التركيبية نفسها، حيث قدم الخبر(لدمع) على المبتدأ (نهية). ثم يأتي امتداد الجملة، بذكر جملة صفة،

ولكن من جهة الخبر، حيث هذه الجملة هى صفة للخبر(الدمع)، على الرغم من أنه مقدم (تمترى منه أسابيٌ الدرر) فهذا الدمع تُستخرج منه أسابي الدرر.

٤ـ الانحراف في الوصف: ثم يأتي بعد الجملة الوصفية التي تصف الدمع بوصف آخر للدمع مفرد هو (مرمعلات).هنا ينحرف الشاعر عن أسلوبه في الوصف الذي اعتدناه عنده من أنه يتدرج في الوصف من الوصف المفرد إلي شبه الجملة، ثم الجملة، ولكنه يعود إلي منهجه في باقي البيت، حيث يصف (المرمعلات) بصفة التتابع بشبه الجملة (كسمطى لؤلؤ) في صورة جار ومجرور ومضاف إليه، ثم يصف اللؤلؤ بجملة فعلية (خذلت أخراته) ثم يصفه بجملة اسمية تالية للجملة الفعلية (فيه معر) فهو قد عاد إلي أسلوبه المتدرج في الوصف في تراكيبه الوصفية.

إن عدد الجمل الوصفية التابعة للجملة الأولى يصل إلى أربع جمل، وهي قد جاءت لما يأتي :( وصف الحبيب - وصف للدمع – وصف آخر للدمع خذلت ـ وصف اللؤلؤ – وصف أخير للدمع فيه معر)

٥ـ وقد جاءت الجمل الوصفية موضحة لجزئيات الصورة، أو كأنها شرط لهذا الوصف؛ فشرط اللؤلؤ لكي يشبه الدمع المتتابع أن تخذل أخراته، وهكذا باقي الجمل، كأنها وصفية شرطية لاكتمال الصورة ، كما رأينا في القصيدة السابقة .

٦ـ ونجده يصف صورة متحركة بصورة متحركة، حيث يقول مرمعلات (متتابعات أي الدمع) كسمطى لؤلؤ خذلت أخراته، فالدموع السائلة في تتابعها تشبه عقد اللؤلؤ الذي انقطع حبله، وتساقطت حباته، فهي في تتابعها كتتابع الدمع المتساقط.

ثم ينتقل للإجابة على سؤاله؛ ولكن مع توضيح لسر هذا الدمع، وهو أنه رأى ظُعنا لليلى.

٧ـ عودة لمنهجه في الوصف: ثم ينطلق في منهجه، وهو وصف هذه الظعن في ثلاث جمل:

❖- قد علا الحزماء منهن أسر.

❖❖- قد علت من فوقها أنماطُها.

❖❖❖- وعلى الأحداج رَقْم كالشقر.

نلاحظ على هذه الجمل أنها:

١- جملتان فعليتان وجملة اسمية.

٢- كرر الفعل (علا) مرتين.

٣- التقديم والتأخير: حيث قدم على الفاعل وعلى المبتدأ كل من المفعول به والجار والمجرور خضوعا للقافية في المثال الأول والوزن في الجملتين الثانية والثالثة.

٤- كل هذه الجمل وصف للمفعول في الجملة الأصلية "رأى ظعنا لليلى".

٥- جاء الظرف ليحدد الإطار الزماني والمكاني للحدث: غدوة – فوقها.

**اللوحة الثانية "المديح"**

يرسم الشاعر في هذه اللوحة ملامح شخصية "مَلِك"جمع له صفات الملوك فكانت جمله تشير إلى مجموع تلك الصفات؛ فهي جمل قصيرة اسمية وفعلية ، و يصف فيها ممدوحه صفات جسدية، وصفات تتصل بنسبه، وصفات تتصل ببطولاته وكرمه،نتناول الآن بعض الظواهر التركيبية الأسلوبية في هذه اللوحة

١- تقديم المتعلق بالعامل عليه وعلى المعمول :

وأول ما يصادفنا في هذه الأبيات تلك الصورة الغريبة للمدح حيث يقول:

**وإلى عمرٍو وإنْ لم آتِهِ تُجْلَبُ المِدْحَةُ أو يَمْضِى السَّفَرْ**

"وإلى عمرو" ماذا تعني هذه الجملة؟ ثم تليها جملة أغرب منها "وإن لم آته" ثم يأتي جواب الشرط؛ كأنه إجابة عن السؤالين: " تجلب المدحة أو يمضي السفر" فإلى عمرو يمضى السفر؛ وتجلب المدحة له؛ وإن لم آته مادحا ، إن هذه الغرابة في التركيب تثير انتباه السامع،وذلك بتقديم المعمول إلى عمرو (الجار والمجرور)على العامل (تجلب) وهو تركيب جديد انحرف به الشاعر عن النمط الذي يسير عليه في وصفه، وقد جاء على هذا النحو :

جار ومجرور+ أداة شرط+ فعل الشرط+ جواب الشرط معطوف على الأول.

والتركيب في شكله النهائي تركيب شرطي معتاد، أما الغرابة في أنه بدأه بالجار والمجرور، والمجرور فيه هو مفعول فعل الشرط الآتي .

وقد كرر هذه الصورة وهي البدء بالجار والمجرور في القصيدة الخامسة في:

**إلى عمرو ومِن عمرو أتتني أخي النجداتِ، والحلم الرصين**[1]

٢ـ الواو العاطفة الرابطة الدالة على الإحالة:

كما أن حرف العطف (الواو) يشير إلى ربط هذا التركيب بالبيت الذي قبله، فقد وظَّفَ هنا ذلك الحرف ليقول بذلك: إن ما سبق ليس منفصلا عن ما بعده ، فهذا القلب الحائر الباكي قد اتجه إلى عمرو مادحا. فقدم المفعول على فعله الذي هو فعل الشرط، وتلك خاصية أسلوبية عنده قد أشرت إليها في القصيدة السابقة.

٣ـ الجمل الوصفية والشرطية في اللوحة:

تأتي بعد ذلك جمل اسمية قصيرة تصف الممدوح هى:" واضح الوجه - كريمٌ نجرُهُ ـ حُجُرِيٌّ - عائديٌّ نسبا - بَاحِرِيُّ الدمِ - مُرٌّ طعمُهُ" وهي ست جمل، وفي المقابل جملتان فعليتان:" مَلَكَ السيفَ - يُبرئ الكلب. جاءت الجملة الاسمية في نمطين:

أ ـ مبتدأ (محذوف) + خبر . ب - خبر مقدم+مبتدأ مؤخر.

كل هذه الجمل الاسمية تشير إلى صفاته الجسدية، وإلى كرمه، ونسبه.

أما الجمل الفعلية فلها مكان آخر يحتم وجودها فيه؛ فهو عندما يتكلم عن بطولات عمرو الحربية وانتصاراته؛ فإننا نجد أسلوبه يتغير في بناء الجملة، فقد غلبت الجملة الاسمية على الوصف الشخصي له، أما هنا فنجد أن الحديث عن الحرب يحتاج إلى نمط جديد في بناء الجمل، حيث تصوير المعارك والقتال يحتاج إلى جمل فعلية؛ فبدأ في استخدام الجمل الفعلية الطويلة المليئة بالحركة، نحو:

---

(١) ديوانه ٢٠٨.

ضربتْ دوسرُ فينا ضربـةً أثبتتْ أوتاد مُلْكٍ مُسْتقرّ[١]

صَبَّحَتْنـا فَيْلَـقٌ مَلْمُومـةٌ تمنع العقابَ مِنْهُنَّ الآخـرْ

فالجملة الأولى مكونة من : فعل + فاعل + مفعول مطلق + جملة صفة للمفعول المطلق، فجعل صفة المفعول المطلق جملة.

وكذلك البيت الثاني جملة طويلة تليها جملة صفة؛ لكنه سار على منهجه في الوصف حيث وصف الفاعل وصفا مفردا (فَيْلَقٌ مَلْمُومةٌ) ثم يليها وصفٌ جملة (تمنع..) وهو ما يعرف بالوصف التدريجي، وهو من أهم سمات أسلوب المثقب العبدي.

والأفعال في كلا البيتين تدل على الحركة نحو (ضربت - أثبتت- صبحتنا - تمنع) وتأتي الأبيات الثالث عشر والرابع عشر (وهي في جملتها دعاء للممدوح) وبها أسلوب شرط؛ قُدم جواب الشرط فيه على فعل الشرط وأداته، وهذا كثير في شعره أيضا، ويدل على سمة أسلوبية عنده، وسوف نقوم بإحصاء هذا النوع من الأساليب في نهاية البحث، فقد جعل جواب الشرط مقدما، كأنه فعل أساسي للجملة، ثم يفاجئ السامع بفعل الشرط؛ كأن فعل الشرط وصف، وشرط لحدوث الفعل الأساسي، وليس جواب شرط مقدم على فعل الشرط " وجزاه اللّه إنْ عبد كفر ".

أما فعل الجملة الأساسي (فجزاه اللّه) جاء بعده وصف للمفعول (من ذي نعمة) وقد كرر الفعل (جزاه) في جملة الشرط التي نتحدث عنها.

وقد سار الشاعر في البيت الذي يليه على أسلوبه في الوصف، وهو مكون من :

وأقامَ الرأسَ وقعٌ صادقٌ بعدَ ما صافَ ، وفى الخدِّ صَعَرْ

فعل + مفعول + فاعل+ صفة للفاعل + ظرف + جملة فعلية + جملة اسمية[١].

الوصف التدرجي: حيث يتدرج الوصف من وصف مفرد إلي شبه جملة إلي جملة فعلية، ثم جملة اسمية في بيت واحد.

---

(١) الدور الناقة الصلبة أو كانت للنغمات كتيبة يقال لها دوس قال الشاعر

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتار ملك مستقر

انظر الاشتقاق: لان دريد ، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجى القاهرة، ص ٢٦٢

وفى البيتين الأخيرين يتحدث عن صراع بين ممدوحه وأعدائه، فجاءت جمله مصورة ذلك الصراع من حيث كثرة الجمل الفعلية، وكثرة الأفعال الحركية: نحو:"راموا - يزيلوه - أعيا - أبر - أودى - كان حلوا – فأمر"

ولو نظرنا مرة أخرى إلى تركيب هذين البيتين نجد أن الأول تضمن معنى الشرط، فقد راموا زواله، والنتيجة: أنه أعيا وأبر.

والبيت الأخير تغلب عليه عملية الوصف، فهو يعتمد على الفعل (أودى)، ثم يأتي المفعول، وهو اسم موصول تليه جملة الصلة، وهي جملة فعلية فعلها (أودى) جاء تكراراً للفعل السابق، ثم يليه الفاعل مضاف إلى كلمة دهر، وهي وصف للفاعل، ثم تليه جملة اسمية وصفا للفاعل منسوخة بكان، ثم تليها جملة فعلية وصفا آخر للفاعل فهي مكونة من:

فعل + مفعول + صفة للمفعول + فاعل + مضاف صفة للفاعل + جملة اسمية صفة +جملة فعلية صفة للفاعل، ولاحظ التدرج المعتاد في وصفه.

٤- بيان إحصائي :

لو قمنا بدراسة مكونات هذه القصيدة دراسة إحصائية؛ فسنجد عدد الجمل الفعلية فيها ثلاثين جملة منها: ثلاث فعلها أمر، وثماني عشر جملة فعلها ماض، وتسعة أفعال مضارعة، وهذا يوضح غلبة الجملة الفعلية على غيرها في القصيدة، فقد وجدنا في المقابل الجملة الاسمية لا تزيد عن عشر جمل، فالجمل الفعلية ثلاث أضعاف الجملة الاسمية، وقد وجدنا أن الجمل الاسمية والفعلية القصيرة تشتركان معا في تكوين الجمل الطويلة والمركبة والشرطية والتعليلة، والتي لا تزيد في جملتها عن عشر جمل؛ تساهم في بنائها أربعون جملة فعلية واسمية.

**إحصاء التقديم والتأخير:**

يقوم الشاعر في جمله القصيرة والطويلة بإحداث تقديم وتأخير، ولكن الغالب بعد الإحصاء أن التقديم يكثر في الجمل الاسمية، ففي عشر جمل اسمية وجدنا سبع حالات تقديم للخبر على المبتدأ؛ في حين أن حالات التقديم في الجملة الفعلية لا تزيد عن ست حالات في ثلاثين جملة فعلية، أما تقديم جواب الشرط على فعل

الشرط فقد جاءت أربع جمل شرطية؛ منها ثلاث جمل قدم فيها جواب الشرط على فعل الشرط وأداته، هذا يصور غلبة تقديم جواب الشرط على فعل الشرط عنده.

٥. وسائل الشاعر في إطالة جمله:

أ - الاستفهام: في " هل لهذا القلب... "

ب - المتعلقات:" الجار/ الظرف / المضاف إليه" وظَفهم جميعا في الوصف.

ج - الجمل الوصفية: بنوعيها " فعلية واسمية " .

د - أسلوب الشرط: جاء حاملا سمة الشاعر الأسلوبية "تقديم جواب الشرط".

هـ - جملة الصلة: وقد جاءت لوصف الاسم الموصول.

و - الجملة التعليلية: وهذا النمط يرد لأول مرة في قصائده .

## القصيدة الثالثة

١- أَلا إِنَّ هِنـداً أَمـسِ رَثَّ جَديـدُها ... وَضَـنَّت وَمـا كـانَ المَتـاعُ يَئُودُهـا
٢- فَلَـو أَنَّهـا مِـن قَبـلُ جـادَتْ لَنـا بِـهِ ... عَلى العَهدِ إِذ تَصْطادُني وَأَصِيْدُها
٣- وَلَكِنَّهـا مِمّـا تَمـيطُ بِودِّهـا ... بَـشاشَةُ أَدنـى خُلَّـةٍ تَـستَفيدُها
٤- أَعـاذِلُ مـا يُـدْرِيكِ أَن رُبَّ بَلـدَةٍ ... إِذا الشَمسُ في الأَيامِ طالَ رُكودُها
٥- وآمـتْ صـواديحُ النهـارِ وأعرضـتْ ... لوامـعُ يُطـوى رَيطُهـا وَبُرُودُهـا
٦- قَطَعـتُ بِفَـتلاءِ اليَـدينِ ذَريعـةٍ ... يَغـولُ الـبِلادَ سَـوقُها وَبَرِيـدُها
٧- فبِـتُّ وباتَـتْ بِالتنوفـةِ نـاقتي ... وبـاتَ عَلَيهـا صَـفْنَتِي وقَتُوْدُهـا
٨- وأغضتْ كما أغضيتُ عيني فعرَّسَتْ ... عَلـى الثفِنـاتِ والجِـرانِ هُجودُهـا
٩- عَلـى طُـرُقٍ عِنـدَ اليَرَاعَـةِ تـارةً ... تُـؤازِي شَـرِيم البحـرِ وَهـو قَعِيدُها
١٠- كـأَن جَنِيْبـاً عِنـدَ مَعْقِدِ غَرْزِهـا ... تُـراوِدُهُ عَـن نَفْـسِهِ وَيُرِيـدُها
١١- تَهالَـكُ مِنـهُ في النَجـاءِ تَهالُكـاً ... تَقاذُفَ إِحْدى الجُونِ حانَ وُرُودُها
١٢- فَنَهنَهـتُ مِنهـا وَالمَناسِـمُ تَرْتَمـي ... بِمَعـزاءَ شَـتّى لا يُـرَدُّ عَنُودُهـا
١٣- وَأَيقَنـتُ إِن شـاءَ الإِلَـهُ بِأَنَّـهُ ... سَـيُبلِغُني أَجلادُهـا وَقَـصِيْدُها
١٤- فَـإِنَّ أَبـا قـابوسَ عِنـدي بَـلاؤُهُ ... جَـزاءً بِنُعمـى لا يَحِـلُّ كُنودُهـا
١٥- وَجَـدتُ زِنـادَ الـصَالِحينَ نَمَيْنَـهُ ... قَـديماً كَمـا بَـذَّ النُجـومَ سُعودُها
١٦- فَلَـو عَلِـمَ اللَـهُ الجِبـالَ ظَلَمنَـهُ ... أَتـاهُ بِـأَمراسِ الجِبـالِ يَقُودُهـا
١٧- فَـإِن تَـكُ مِنّـا في عُمـانَ قَبيلَـةٌ ... تَواصَـتْ بِإِجنـابٍ وَطـالَ عُنُودُهـا
١٨- وَقَد أَدرَكَتْها المُدرِكاتُ فَأَصبَحَتْ ... إِلى خَيرِ مَن تَحتَ السَماءِ وُفُودُها
١٩- إِلى مَلِـكٍ بَـذَّ المُلـوكَ بِـسَعيهِ ... أَفاعيلُـهُ حَـزمُ المُلـوكِ وَجودُهـا
٢٠- وَأَيَّ أُنـاسٍ لا يُبِـيحُ بِقَتلَـةٍ ... يُـوازي كُبَيداتِ السَماءِ عَمُودُها
٢١- وَجَأْواءَ فيها كَوكَبُ الموتِ فَخمَةٍ ... تَقَمَّصَ ـ بِالأَرضِ الفَضاءِ ـ وَئِيدُها
٢٢- لَهـا فَـرَطٌ يَحمـي النِهـابَ كَأَنَّـهُ ... لَوامِـعُ عِقْبـانٍ مَـرُوعٍ طَرِيـدُها
٢٣- وَأَمْكَـنَ أَطـرافَ الأَسِـنَّةِ وَالقَنـا ... يَعابِيـبُ قُـوْدٌ، مـا تُئَنّـى قُتُودُهـا

٢٤- تَنَبَّــعَ مِــن أَعطافِهــا وَجُلُودِهــا حَمِيمٌ وَآضَتْ كَالحَمالِيجِ قُوْدُها
٢٥- وَطــارَ قُــشارِيُّ الحَدِيــدِ كَأَنَّــهُ نُخالَــةُ أَقــواعٍ يَطــيرُ حَــصِيدُها
٢٦- بِكُــلِّ مَقَــصِّيٍّ وَكُــلِّ صَــفِيحَةٍ تَتــابَعُ بَعــدَ الحارِشِــيِّ خُــدودُها
٢٧- فَأَنعِم - أَبَيتَ اللَعنَ- إِنَّكَ أَصبَحَتْ لَــدَيْكَ لُكَيْــزٌ كَهْلُهــا وَوَلِيــدُها
٢٨- وَأَطْلِقْهُمُ تَمْشِي النِساءُ خِلالَهُمْ مُفَكَّكَةً وَسَطَ الرِّحَالِ قُيودُها[1]

**مقدمة في بناء القصيدة:**

ونستطيع أن نقسم هذه القصيدة أيضاً إلى عدة لوحات، فهي تتكون من مقدمة غزلية، ثم وصف للراحلة، ثم مدح للنعمان بن المنذر، وهذا الأسلوب هو عادة الجاهليين في بناء قصائدهم، وهو يسير على نهجهم مع الاحتفاظ بأسلوبه الذي يميزه عنهم، ونجد في كل لوحة مجموعة من السمات الأسلوبية الخاصة بالشاعر وأخرى خاصة بالشعر الجاهلي كله، ونحاول هنا تتبع السمات الأسلوبية عنده التي رأيناها في القصيدتين السابقتين، وما ظهر من سماته الأسلوبية الجديدة في هذه القصيدة.

**اللوحة الأولى: " المقدمة الغزلية "**

وتبدأ من البيت الأول إلى البيت الثالث، وهنا نرى الشاعر ينحرف عن أسلوبه السابق في الغزل؛ الذي يبدأ فيه قصيدته بسؤال، فهنا يبدأ قصيدته بالإخبار عن هند؛ ولكن في إطار جديد، وهو البدء بصيحة أو ضجة إثارةً للسامع من خلال البدء بحرف تنبيه وافتتاح وهو "ألا"، وهذه مع سابقتها تعد سمة أسلوبية عنده في افتتاحه قصائده،أي إحداث ضجة أو صولة عند بدء قصائده، وأيضاً على غير العادة بدأ باللوم لهند، وليس التغزل فيها، فهو يبدو كرجل جاد لا يميل إلى الغزل ليناسب الموضوع الذي سيتحدث عنه؛ وهو وصف ومدح لبطل مغوار، ثم تأتي جمله بخصائصها التركيبية لتصور ذلك:

(١) الديوان ٨٣-١١٦.

١. الجملة الأولى: اسمية منسوخة بإن ومسبوقة بحرف تنبيه وافتتاح "ألا"[١]

٢. الجملة الثانية: فعلية فعلها ماض، وهو انحراف عما رأيناه من قبل في جعل جمله مضارعة؛ لأنها هنا للإخبار وهو يناسبه الماضي، أما الوصف فيشترطه

٣. الجملة الثالثة :جملة شرطية وظَّف فيها الشاعر الشرط للإخبار عن هند، وذلك لغرضه الأكبر وهو الوصف، مع ملاحظة أنه قد حذف جواب الشرط من العبارة "فلو أنها ... جادت لنا به " دون أن نعرف ماذا سيحدث لو أنها جادت به؟ والعبارة تحمل معنى التمني؛ فهو يتمني حدوث ذلك الفعل؛ أنها تجود به.

٤. الجملة الرابعة: هى استدراك لما سبق من وصفه لها بأنها تبخل بالوداع، لكنها تميل بودها نحو أدنى بشاشة تُقدم لها، يقول التبريزي: " أراد: ولكنها من الناس الذين يستزلهم ويغريهم أدنى ملاطفة وبشاشة؛ فيرجعون عما قدموه زهدا في الأول"[٢]. وهى جملة وصفية مركبة من جملة كبرى تتعلق بها عدة جمل أخرى؛ تصف هند بعدة صفات داخل الجملة الكبرى من خلال فعلين هما تميط وتستفيد، هذا كله في الثلاثة أبيات الأولى:

**١- أَلا إِنَّ هِنداً أَمسِ رَثَّ جَديدُها وَضَنَّت وَما كانَ المَتاعُ يَئُودُها**

**٢- فَلَو أَنَّها مِن قَبلُ جادَتْ لَنا بِهِ عَلى العَهدِ إِذ تَصْطادُني وَأَصِيْدُها**

**٣- وَلَكِنَّها مِمّا تَميطُ بِودِّهـا بَشاشَةُ أَدنى خُلَّةٍ تَستَفيدُهـا**

**اللوحة الثانية: " وصف الرحلة والراحلة "**

ثم يعود من جديد إلى أسلوبه السابق وهو الوصف، فهو يصف رحلته إلى ممدوحه قائلا: أعاذل ما يدريك أن رب بلدة. وهنا يبدأ لوحته بالنداء - وكما قلنا من قبل - إن النداء والاستفهام يمتلكان قيمة أسلوبية كبيرة، فهو يحاول أن يثير دهشة مستمعه بالنداء، ثم يليه استفهام استنكاري ليدل بذلك على حيرته، وهذا

---

(١) انظر الجني الداني في حروف المعاني: للمرادي،دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ ص ٣١٨، وكتاب الأزهية : للهروى مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٨١ص ١٦٥.

(٢) شرح المفضيات: للتبريزي ، دار نهضة مصرم ، ص ٥٥٨/٢.

البيت يعد المقدمة الثانية داخل هذه القصيدة، ذلك لأنه بدأ البيت بما اعتاد أن يبدأ به قصائده وهو النداء أو الاستفهام .

ثم يتجه إلى وصف خلفية الحدث؛ وهو الطريق الذي يسير فيه إلى ممدوحه، فهو يرسم لنا صورة دقيقة لمكان الحدث؛ لم يغفل فيها شيئا كالشمس والأرض والحصى وأثر كل منهم على الآخر، ولكن بأسلوبه الخاص؛ فهو يطلق النداء ويليه بالاستفهام، ثم الشرط، وهذا أسلوبه في وصف الناقة أو البدء في وصفها؛ كذلك لا يذكر اسمها كناقة؛ بل يشير إليها بصفاتها التي تنوب عن الاسم؛ فتكون أقوى من الاسم في الدلالة على تميزها بتلك الصفات التي تُدعى بها، وتنوب عن اسمها، بل تغلب عليها؛ كغلبة صفة الجاحظ على اسمه، كما رأينا ذلك من قبل في القصيدة الأولى في قوله:

**حتى تلوفيـــت بلكيَّـــة معجمـــة الحارك والموقـــد**

فلم يذكر اسمها بل ذكر صفتها: لكيَّة ومعجمة الحارك، فهذه تعد خاصية أسلوبية عند المثقب كما سنرى، فلا يُفهم من ذلك أنه يتعمد الوصف، فهو يقول: ماذا يحدث لو أن الشمس طال ركودها أو وقوفها وسكونها، يقول التبريزي: ومعنى البيت أي شيء يعلمك أنه رُبَّ بلدةٍ من شأنها وقصتها ما أحكيه وأبينه أنا قطعتها"[(١)]

فهو قد قطع أرضا؛ الشمس واقفة وساكنة عليها بتلك الناقة التي صفتها:

**قطعت بفتلاء اليدين ذريعة يغول البلاد سوقها وبريدها**

وهنا نراه يستغنى بالصفة عن الاسم "بفتلاء اليدين ذريعة" بدلا من قوله:" ناقتي" واصفا لها بالقوة، ثم يصفها بالسرعة مستخدما كلمات تدل على السرعة الشديدة إلى حد الهلاك بالفعل المضارع يغول، أي يذهب به ويهلكه، ثم يجعل فاعل هذا الفعل صفة، وهو سيرها السريع، فقد أراد أن يصفها بالقوة والسرعة؛ فجاء بجملة فعلية للدلالة على الحركة، وبأفعال، وأسماء هي صفات تنوب عن الأسماء والأفعال الأصلية وتعطي هذا المعنى.

---

(١) شرح المفضيات للتبريزي ٢/٥٥٨.

ثم أراد أن يقول: إنني في سفر دائم وترحل، فذكر أنه حتى في الليل يبيت في حالة ترحل هو وناقته، فقد بات وباتت ناقته في الصحراء في حالة سفر، حيث هو على ظهرها وأداة الرحل فوق ظهرها، وأغمضت عينها على تلك الحالة، حالة استعداد للسفر، كما في البيت السابع والثامن، فاستخدام في البيت السابع الفعل بات ثلاث مرات ليدل على النوم، ويؤكد أن كل شيء قد نام حتى الجماد "عليها صفنتي وقتودها" فالكل نائم، لكنهم في حالة استعداد تأهبا للسفر.

ثم كرر الفعل أغضت للإشارة إلى نومه ونومها، ثم يعود لمواصلة السير مع وصف الطريق الذي سارت عليه، بل إنه يجعل للمكان تأثيرا في اللوحة التي يرسمها ليكون علامة على الطريق "اليراعة" ثم يصنع خلفية لهذا الطريق وهي شريم البحر، ولكن في صورة الحركية؛ فيجعل منه رجلا يؤازي تلك الناقة، وهو قعيد لا يفارقها، إنه يريد أن يقول: هي تسير بمحاذاة شريم البحر، فحول ذلك إلى صورة حركية ولوحة متحركة خلفيتها البحر والناقة في تفاعل حركي معه، ثم يؤكد الصورة بوصفها عن طريق التشبيه بصورة بها حركة، حيث تتفاعل مع الدابة التي بجانبها (جنيبها) فهي "تراوده عن نفسه ويريدها" يقول:

**على طريق عند البراعة تارة ... تؤازي شريم البحر وهو قعيدها**
**كأن جنيبا عند مقعد غرزها ... تراوده عن نفسه ويريدها**
**تهالك منه في النجاء تهالكا ... تقاذف إحدى الجون حان ورودها**
**فنهنهت منها والمناسم ترتمي ... بمعزاء شتى لا يرد عنودها**

بل إنه يصف سرعة الناقة في سيرها بالرجل الذي يركب رأسه فلا يلوي أحد، بل هي كطائر القطا حين تحبس عن الماء، فهي لا تألوا طيرانا، فهو ينتزع من البيئة المحيطة به عدة صور ليعبر عن سرعة ناقته (بالرجل المعاند والطائر العطشان) بل إنه يحول أن يكفكف من سرعتها التي لا تردها حبات الحصى المترامية، فهي مندفعة بشدة.

والشاعر في سبيله إلى هذا الهدف - وهو تصوير سرعة ناقته - سار على أسلوبه المعهود، وهو رسم لوحة متكاملة الجوانب.. حدد فيها المكان (عند البراءة) والخلفية (شريم البحر) ثم فَاعَلَ بين جوانب الصورة وأشخاصها (تؤازي

شريم البحر وهو قعيدها) ثم لجأ لتوضيح الصورة إلى التشبيه (كأن جنيبا..) (تقاذف إحدى الجون) حتى محاولة إيقافها يعطى لنا خلفية للحدث، فهو يحاول إيقافها لحظة أن كانت أطراف خفها ترتمي في سيرها على أرض ذات حصى صغير، فهي أرض غليظة، وهى تصر على السير مسرعة معاندة لظروف الأرض القاسية.

كما هو واضح في أسلوب المثقب فإنه كما قلنا سابقا يستخدم في الوصف ورسم اللوحة الحركية الأفعال المضارعة التي تدل على الحركة مثل (تؤازي - تراوده - ترتمي - يرد)

**اللوحة الثالثة: " وصف الممدوح"**

ثم ينتقل بعد وصف راحلته ووصف الرحلة؛ إلى الحديث عن ممدوحه قائلا: إن له عليه أيدٍ لا يمكن جحودها، ثم يتحدث عن نسبه بأنه نسب الصالحين، بل إن الله يؤيده فلو ظلمته الجبال لجئ له بها يقودها، ولكننا نراه في هذه الأبيات ينحرف عن أسلوبه في المدح الذي كان يسلك فيه أسلوب الجمل الاسمية القصيرة، فنجده في البيت الثاني يبدأ البيت بفعل، وينهى الشطر الأول بفعل، فهو يريد أن يصفه بعراقة النسب فيصنع لذلك حدثا يدور حوله ثم يجنح إلى أسلوبه المعتاد، وهو الوصف أو التمثيل لما يقول، فقد ذكر أنه وجد زناد الصالحين قد رفعوا إليه نسبه قديما؛ فهو عريق النسب، ثم يمثل لما يقول (كما بذ النجوم سعودها)، فهو لا يخرج عن أسلوبه في الوصف: فعل حركي + تمثيل أيضا بفعل حركي.

وفى البيت الثالث يريد أن يقول كلمة واحدة وهي أنه مؤيد من الله، فيصنع لذلك صورة رجل أسطوري تقاد له الجبال فيختار من وسائل اللغة أسلوب الشرط ليمكنه ذلك من الربط بين جملتين ـ وبطبيعة الحال ـ يسرع إلى الجملة الفعلية؛ فيختار لذلك أربعة أفعال (علم - أتى - ظلم - يقودها) فكيف به يأتي بأربعة أفعال في بيت واحد، إنما يدل ذلك على أسلوبه الخاص في الوصف الذي افتتن فيه بالجمل الفعلية؛ ليعطي وصفه نبضا وحركة وحياة.

**اللوحة الأخيرة: " بطولات الممدوح "**

وتأتي اللوحة الأخيرة لوصف ممدوحه بالبطولة والعظمة والملك ولكنه صوَّر ذلك في شكل معركة وحرب ولا مفر ولا ملجأ إلَّا إلى هذا الملك المغوار وكل هذه المعركة متخيلة من أفكاره هو وقد جاءت هذه اللوحة في اثنى عشر بيتا يقول في أولها: " فإن تك منا في عمان قبيلة" أي لو كانت هناك قبيلة في عمان، فهو افتراض منه، ثم ينطلق في تصوره واصفا هذه القبيلة؛ مكانها؛ حالتها؛ وما حدث لها. فقد أدركتها الحادثات ولا مفر لها إلا ممدوحه، وهو أبو قابوس، بل إنه يقول: إن أي قوم لم يستبح حماهم أبو قابوس فهم يحازون في الارتفاع كبيدات السماء، ثم يصور قبيلة انتصر عليها فيبالغ في وصف قوة هذه القبيلة ليظهر قوة ممدوحه في القضاء عليها فيقول: رب كتيبة فيها معظم الموت، ضخمة سري صوتها بالأرض، أي لها صوت كالدوي يُسمع عن بعد تقدمت في ورود الماء، تحمي نفسها من الناهبين الذين كأنهم عقاب سريع الخطف ترهب طريدها، لها خيل حملت الأسنة وأنفذتها فيهم، وهي خيل لا تثنى وجوهها، وهي خيل يخرج من أجسادها حميم، فطار شرار الحديد كأنه نخالة الطحين أو البُرِّ، وبعد هذا العرض الأسطوري لقوة هذه القبيلة إذ بهم أسرى في يد عمرو بن هند. فالشاعر يطلب منه أن يَمُنَ عليهم ويطلقهم تمشي خلالهم مفككة قيودهم وسط الرجال.

**ملامح تركيبية في هذه اللوحة:**

١- يبدأ الشاعر في رسم لوحته بوصف الكتيبة التي بها باستخدام واو رُبَّ؛ ليعطي معنى الافتراض في قوله: "وجأواء" فيفتح باب التخيل والتصور للقادم.

٢- ثم يأتي الوصف التوليدي في تتابعه المعتاد في أسلوب المثقب:

أ) فيصف الكتيبة بأسلوبه الذي اعتدناه في الوصف، حيث يبدأ بالوصف المفرد {فخمة} ثم الجملة بنوعيها { تقمص وئيدها } { فيها كوكب الموت } { لها قرط}

ب) ثم يصف هذا القرط بجملة" يحمي النهاب"، ثم يصف هذا القرط عن طريق التشبيه بصفة أخرى "كأنه لوامع عقبان"

ت) ثم يصف العقبان بقوله"مروع طريدها"

وهنا نقف لنرى تلك السمة الأسلوبية "الوصف التوليدي" تظهر مرة أخرى عند الشاعر، فهو يتكلم عن الكتيبة فيصفها بوصف: مفرد ثم جملة فعلية ثم اسمية، وقف مع المبتدأ فيها ليصفه بجملة فعلية، ثم يشبهه كأنه لوامع عقبان، ثم يصف طريد العقبان بأنه مروع، تلك من أهم السمات أسلوبية لدى المثقب الوصف التوليدي.

٣. التقديم والتأخير: نجد الشاعر يوظِّفُ لغرضه الوصفي كل إمكانات اللغة؛فواو رب تعطي معنى الشرط، والجملة الاسمية يحدث فيها تقديم وتأخير، فالخبر وصف وحكم على المبتدأ، لهذا فهو يقدم الصفة على الموصوف لتحقيق عملية الوصف نحو:" فيها كوكب الموت - لها قرط" بل إن التقديم تعدى الجملة الاسمية ليحدث أيضاً في الجملة الفعلية لتحقيق الغرض نفسه، وهو إظهار الصفة على الموصوف؛ فقدم الجار والمجرور على الفاعل " تقمص بالأرض الفضاء وئيدها" والمفعول على الفاعل "وأمكن أطراف الأسنة والقنا يعابيب قود" ولا يفوته في نهاية الجملة أن يسرع بوصف الفاعل في جملة فعلية "ما تثنى قتودها" ثم يستمر في وصف الخيل، فهو يستخدم الجمل الفعلية ذات الفعل الحركي مثل: تتبع - آضت - طار - يطير، ثم يكمل أسلوبه بما اعتداه من وصف بالتشبيه قائلا: "كأنه نخالة أقواع يطير حصيدها" وقد قدم أيضا الجار والمجرور على الفاعل مرتين في بيت واحد "يتبع من أعطافها وجلودها حميم وآضت كالحماليج قودها" ثم يقول في هذا البيت أيضا" بكل مفضي تتابع بعد الحارش خدودها" وفي البيت الذي يليه هذا التقديم أيضا، إنك أصبحت لديك لكيز، فقدم الجار والمجرور على اسم أصبحت، ولو قمنا بإحصاء حالات التقديم في هذه القصيدة لو نجدناها قد بلغت خمسا وعشرين حالة تقديم، خمس عشرة حالة في الجملة الفعلية، وعشر حالات في الجملة الاسمية

٤. إحصاء للوصف التوليدي: جاءت خمسون حالة وصف توليدي في الجملة، منها ما يقرب من أربعين جملة فعلية، وعشر جمل اسمية مما يوضح غلبة الوصف بالجمل عنده، إلى جانب عشر جمل شرطية؛ مما يشير إلي كثرة الشرط عنده

أيضا، وقد جاءت الجمل الشرطية لتكون شروطا للوصف عنده، جاءت خمس تشبيه بـ "كما وكأن" لتزيد في وضوح الوصف بالتشبيه.

**والخلاصة:**

إننا نستطيع القول" إن الشاعر وظَّف إمكانيات اللغة لهدفه الكبير ، وهو الوصف لكل ما يرد في شعره، وهو يفعل هذا في موضوعات معينة منها: الغزل وصف الراحلة والرحلة و الممدوح، لكنه ينحرف عن ذلك المنهج في موضوعات أخرى مثل حالات الحرب، كما رأينا في هذه القصيدة فانحرف عما اعتدناه في أسلوبه.

**انحرافات الشاعر في هذه القصيدة:**

١- فالبداية الغزلية لم تعد تبدأ بالاستفهام بل بالإخبار عن صاحبته.

٢- لم تعد المقدمة الغزلية تحوي التذلل والتشكي وطلب النهلة منها بل أصبحت تحوي الهجوم عليها واتهامها بأنها ممن يستذلهم ويغريهم أدنى ملاطفة وبشاشة[١].

٢- مقدمة القصيدة تحمل ملامح موضوعها: فهذه المقدمة الغزلية الشديدة توضح ملامح الموضوع " الحرب والفخر بقائد قوى" كما يظهر بأبياتها.

٣- الانحراف عن منهجه في استخدام وسائل اللغة حيث:

أ- انحراف عن الفعل المضارع إلى الماضي.

ب- توظيف الشرط للإخبار

ج- الاستغناء بالصفة عن اسم الشيء.

د- الاستغناء بالفعل عن الاسم وعن الصفة.

هـ - المجيء بأسلوب الشرط على نسقه المعتاد دون تقديم جوابه عليه.

و- تأكيد المعنى عن طريق تكرار الفعل نحو (بات - تصيدني - أغضت - تهلك) فتكرار هذه الأفعال أو مشتقاتها له دلالة أسلوبية.

---

(١) المفصليات ٢/٥٥٧.

## القصيدة الرابعة

١- وسارٍ تعنَّاهُ المبيتُ فلمْ يدعْ ... لهُ طامسُ الظَّلماءِ واللَّيلِ مذهباً
٢- رأى ضوءَ نارٍ منْ بعيدٍ فخَالَها ... لقدْ أكذبتهُ النَّفسُ، بلْ راءَ، كوكباً
٣- فلَمَّا استْبانَ أنّها آنسيَّةٌ ... وصَدَّقَ ظَنّاً بعدَ ما كان كَذَّبا
٤- رفعت لهُ بالكفِّ ناراً تشُبُّهاً ... شآميَّةٌ نَكباءُ أو عاصِفٌ صَبَا
٥- وقُلتُ: ارفَعاها بالصّعيدِ كفَى بها ... مُنادٍ لسارٍ ليلةً إنْ تأوَّبا
٦- فلمَّا أتاني والسَّماءُ تَبُلُّهُ ... فلَّقيتهُ: أهلاً وسهلاً ومرحبا
٧- وقُمتُ إلى البَرْكِ الهَواجدِ فاتَّقَتْ ... بكَوماءَ لم يَذهَبْ بها النَّيُّ مَذهَبا
٨- فرحَّبتُ أعلى الجنبِ منها بِطَعْنةٍ ... دعتْ مستكنَّ الجوفِ حتَّى تصبَّبا
٩- تَسامَى بَناتُ الغَلْيِ في حُجُراتِها ... تَسامي عِتاقِ الخَيلِ وَرْداً وأَشْهَبا [1]

**مقدمة : " قصة كرم "**

نرى الشاعر في هذه القصيدة يعرض موضوعاً جديداً؛ وهو "قصة كرم" رأيناها من قبل عند الحُطَيْئة، وهي قصة بسيطة في أبيات محددة، ولكنها حملت عناصر البناء القصصي كاملة، من مقدمة يعرض فيها الأبطال والحدث والعقدة والحبكة والحل، هذا البناء ساقه لنا في سلاسة كاملة مع تسلسل دقيق للأحداث ، وتتابعه يوضح نضج الفكرة في ذهنه، تقنعنا بصدق القصة، بحجج أتت من ذلك التسلسل والسلاسة في العرض ومنطقية الأحداث .

**عرض لعناصر بناء القصصي:**

بدأ الشاعر قصته بـ :

١. عرض لبطلها : "سارٍ" بواو رُبَّ أي بافتراض (سارٍ) فهذه قصة افتراضية .

٢. عرض للمشكلة : أي مشكلة التي يعيشها بطل القصة "تعناه المبيت ".

---

(١) الديوان ١١٧-١٢٣.

٣. عرض للعقدة: وهى تعقد المشكلة، فالبطل يعانى من عدم وجود مكان يبيت فيه، ثم يزداد الأمر تعقيدا بوجود مشكلة أخرى، وهى ظلمة الليل الشديدة " فلم يدع له طامس الظلماء والليل مذهبا" وتلك خلفية الحدث، الليل المظلم.

٤. عرض للأمل: يذكر الشاعر الأمل الذي رآه السارى من بعيد، ثم خيبة رجائه في هذا الأمل حيث "رأى ضوء نار فخالها" ثم الأمل "لقد أكذبته النفس".

٥. عرض للحل : وذلك عند استيقانه حقيقة هذه النار" فلما استبان أنها آنسية.."

٦. تأكد الأمل وبدء الكرم: بمعرفة مصدر النار وحقيقتها"رفعت له بالكف نارا"

٧. مراحل الكرم:

أ) رفع النار على الكف لاستقبال الضيف إكراما له.

ب) النداء على الضيف برفع النار له لترشده إلى مكانهم.

ج) حسن الاستقبال بكلمات الترحيب: أهلا وسهلا ومرحبا.

د) أكرام الضيف بذبح أفضل النوق له.

هـ) وصف الوليمة التي أعدت للضيف .

هذه قصة هذا الكرم الذي يذكرها الشاعر كنموذج لبناء قصصه في الكرم.

**وصف للبناء التركيبي للقصة:**

١. بدأ الشاعر قصته بواو رُبَّ، ثم وصف للبطل باختيار صفة له بدل اسمه.

٢. ثم ينطلق إلى وصفه أكثر فيعرفنا مشكلة البطل من خلال وصفه له بأنه :

أ) أتعبه المسير. ب) لم يدع له طامس الليل مذهبا.

وهما جملتان فعليتان قدم لنا من خلالهما بطل القصة والمشكلة التي يعيش فيها في تلك اللحظة، فجعل الوصف وسيلة لإطلاعنا على البطل ومشكلته.

٣. الأمل: عبر عنه الشاعر بجمل فعلية هي (رأي - خالها - أكذبته - راء) فبيَّن من خلال تلك الأفعال عن حيرة البطل بين الرؤية والتخيل، والأكذوبة، ثم الحقيقة، فجاءت أفعاله ماضية لتناسب القص، وتدرجت في الوصول إلى الأمل ما بين: الظن < ثم الكذب < ثم الحقيقة < اليقين بالرؤية الصادقة لأمر النار.

٤- التقديم والتأخير: قدم الشاعر الجار والمجرور الذي جاء في صورتين على المفعول "رفعت له بالكف نارا" وذلك لمكانة الضيف عنده.

٥- التأكيد على الحدث بتكرار الفعل نفسه، فهو يذكر الحدث ويعود ليؤكد عليه؛ فقد رفع النار للضيف بالكف؛ لكنه يعود فيؤكه هذا بتكرار الفعل (رفع) فقال: فقلت: ارفعاها ثم يعلل سبب الرفع وهى أن تكون مناديا لسار إذا أراد الرجوع .

٦- التراكيب الوصفية:

لازال يوظف أغلب تراكيب جمله للوصف، فهى تعد ظاهرته الأسلوبية ، نحو:

أ- الحال: حيث وظَّفَ الجملة الحالية كوسيلة لوصف الضيف (والسماء تبله).

ب- المفعول المطلق: وصف اللحم "تسامى بنات الغلى تسامى عتاق الخيل"

ج- الصفة تنوب عن الاسم:أدى افتتانه بالوصف إلى أن أناب صفة الشيء عن اسمه، فيذكر صفته، مما يثير انتباه السامع فيبحث عن اسم صاحب هذه الصفة:

١). سمى الدم :"مستكن الجوف ". ٢). سمى اللحم: " نبات الغلى".

٣) . سمى الأبل النائمة:"البَرْكِ الهَواجِدِ". ٤) سمى الصيف القادم: "سارٍ".

د- التعبير عن الصفة بجملة فعلية نحو:"لم يذهب بها النَّيُّ مذهبا " أي أنها سمينة .

**ملامح أسلوبية المثقب في القصة:**

أ) نلاحظ أنه يذكر المعنى ويؤكده، وهى صفة أسلوبية لدى المثقب كما نرى في هذه الأبيات، فهو قد تبين له أنها نار محسوسة، ثم عاد فأكد أنه صدَّق ظنا كذبه، ثم يأتي البيت الذي يليه يؤكد هذا الظن الذي تسرب للبطل بالحقيقة، بأن رفع له ناراً، وهنا نلاحظ انتقالا سريعا من البطل إلى الشاعر راوي القصة، وهو التفات يفاجئ السامع به فيلفت نظره، وهو انحراف من وصف البطل وما حوله من أحداث إلى الحديث عن الشاعر نفسه، فهى ظاهرة أسلوبية،

ب) الالتفات من ضمير الغائب في(وسار تعناه) إلى المتكلم في (رفعت له...) حيث يبدأ في التفاعل شخصياً مع الأحداث، ثم يلتفت إلى ضمير المخاطب يشير به إلى صاحبيه في الحدث قائلا: فقلت ارفعاها، ثم يعود إلى ضمير المتكلم قائلا: فلقيته... وقمت ثم يعود للغائب، وهذا الالتفات نوع من الانحراف يثير انتابه السامع. هي ظاهرة أسلوبية هامة نجد عنده.

ج) الالتفات الغريب في البيت الخامس من ضمير المفرد إلى المثنى إلى المفرد، يثير كثيراً من الدهشة، كيف يسير نمط واحد من المفرد الغائب، ثم المفرد المتكلم، ثم المفردة الغائبة، إنه بمثابة انفجار في الرتم أو الإيقاع، حيث يفاجئنا بأنه ليس وحده وضيفه في القصة بل هناك صديقان معه قال لهما: ارفعاها يقصد النار.

د) ظاهرة الوصف : لا يمل الشاعر أبدا من الوصف ؛ فهو يصف كل ما يرد في قصيدته، فهي ظاهرة أسلوبية عنده ، فهو يصف هنا:

١ ـ النار: فهي تشبه شآمية نكباء.

٢ ـ حالة الضيف القادم إليه: والسماء تبله.

٣ ـ الترحاب بالضيافة: يتلقاه قائلا" أهلا وسهلا ومرحبا "

٤ ـ قطع اللحم في القدور :" كعناق الخيل وردا وأشهبا "

## ملاحظات عامة على أسلوب المثقب في هذه القصة:

١- البناء القصصي:عبر الشاعر عن قصته بطريقة صحيحة حيث تسلسل الأحداث، فكل بيت يحمل فكرة متكاملة، تسلمك للتى تليها في تسلسل مقنع، وقد تمكن من ذلك بفضل قيامه بالآتي:

أ- استخدام الشاعر ألفاظا تعبر عن أفكاره بإيجاز مع الوصف، نحو: سارٍ.

ب- وصف الأشخاص في جمل اسمية تنوب عن أسمائهم: (والسماء تبله)

ج- استخدام الفعل الماضي ليناسب الرواية القصصية، وذلك في اثنين وعشرين موضعا في مقابل ثلاثة مواضع للفعل المضارع، وموضع واحد لفعل الأمر،

مما يدل على غلبة الفعل الماضي؛ لطبيعة القصص.

د- استخدام ألفاظ تدل على الانتقال من مرحلة إلى أخرى في الأحداث نحو (فلما) لترابط الأحداث وتتابعها في ترتيب وتسلسل.

هـ- القصة لم تخل من الحوار باستخدام الفعل (قلت) (أهلا وسهلا ومرحبا)

و- استخدام أفعال تدل على الحركة نحو (تعناه - لم يدع - رفعت - أتاني - لقيته - قمت - اتق - يذهب - تسامى...)

ز- بدأ بعرض الأبطال مع وصفهم لتصبح الأحداث متسلسلة، ويستمر في عرض الأحداث حتى يصل إلى نهايتها وهى إطعام الضيف.

ح- استخدم ضمير المتكلم دائما نحو (قمت قلت رفعت...) ليوضح أنه صاحب المكرمة، وليوجد لنفسه مكانا في داخل القصة .

## القصيدة الخامسة

١- أفاطِمُ قَبْلَ بينكِ مَتِّعينِي ... ومَنْعُكِ ما سَأَلْتُك أن تَبِينِي
٢- فلا تَعِدِي مَوَاعِدَ كاذباتٍ ... تمُرُّ بها رياحُ الصيفِ دُونِي
٣- فإني لو تُخَالِفُنِي شِمَالي ... خِلَافَكِ ما وصَلْتُ بها يميني
٤- إذاً لقطعتُها ولقُلْتُ: بينى ! ... كذلك أجْتَوِى مَنْ يَجْتَوِينِي
٥- لَمَنْ ظُعُنٌ تَطلَّعُ مِنْ ضُبَيْبٍ ... فما خرجتْ من الوادي لحِينِ
٦- تبصَّر هل ترى ظُعُناً عِجَالا ... بجَنْبِ الصَّحْصَحانِ إلى الوَجِينِ
٧- مَرَرْنَ عَلَى شَرَافٍ فذاتِ هِجْلٍ ... ونَكَّبْنَ الذَّرَانحَ باليمين
٨- وهُنَّ كذاك حِينَ قَطَعْنَ فَلْجاً ... كأنَّ حُدُوْجَهُنَّ على سَفِيْنِ
٩- يُشَبِّهْنَ السَّفِينَ وهُنَّ بُخْتٌ ... عُرَاضاتُ الأباهرِ والشُّئُونِ
١٠- وهُنَّ على الرجائزِ وَاكِناتُ ... قَوَاتِلُ كُلِّ أشْجعَ مُسْتَكِينِ
١١- كغِزلانٍ خَذَلْنَ بذاتِ ضَالٍ ... تَنُوشُ الدانياتِ من الغُصُونِ
١٢- ظَهَرْنَ بِكَلَّةٍ ، وسَدَلْنَ رَقْماً ... وثَقَّبْنَ الوصاوِصَ للعُيونِ
١٣- أَرَيْنَ مَحَاسِناً ، وكَنَنَّ أُخْرى ... من الدِيباجِ والبَشَرِ المصُونِ
١٤- ومِنْ ذهبٍ يلُوحُ على تَرِيْبٍ ... كَلَوْنِ العاجِ ليس بذي غُصُون
١٥- وهُنَّ على الظلامِ مُطَلَّبَاتٌ ... طَوِيْلاتُ الذوَائِبِ والقُرُونِ يَعِزُّ
١٦- إذا ما فُتْنَهُ يَوْماً بِرَهْنٍ ... عليه لم يَرْجِعْ بِحِينِ
١٧- بِتَلْهِيةٍ أَرِيشُ بها سِهَامِي ... تَبُدُّ المُرْشِقَاتِ من القطِيْنِ
١٨- عَلُون رَبَاوةً، وهبَطْنَ غَيْباً ... فلم يَرْجِعْنَ قائلةً لِحِيْنِ
١٩- فقلتُ لبعضهنَّ ، وشُدَّ رَحْلِي ... لهاجِرَةٍ عَصَبْتُ لها جبيْني
٢٠- لعلَّكِ إنْ صرمتِ الحبل منِّى ... أكُوُن كذاكِ مُصْحِبَتِى قَرُوني
٢١- فسلِّ الهمَّ عنكَ بذاتِ لَوْثٍ ... عُذافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ القُيُون
٢٢- بِصادِقَةِ الوَجِيْفِ كأن هِراً ... يُبَارِيها ويأخُذُ بالوَضِين
٢٣- كساها تَامِكا قَرِداً عليها ... سَوادِيُّ الرَّضِيحِ مَعَ اللَّجِينِ
٢٤- إذا قَلِقَتْ أشدُّ لها سِنَافاً ... أمام الزورِ مِنْ قلقِ الوضِين

٢٥- كـأن مواقِـعَ النَّقِنَـاتِ منهـا مُعَـرَّسُ بـاكِرَاتِ الـوردِ جُـونِ
٢٦- يَجُـدُّ تـنفُّسُ الـصعداءِ منهـا قُـوَى النـسعِ المُحَـرَّمِ ذي المُنُـونِ
٢٧- تـصُكُّ الجـانِبَيْنِ بمُـشْفَتِرٍّ لـه صـوتٌ أَبَـحُّ مِـن الـرَّنِيْنِ
٢٨- كـأن نَفِـيَّ مـا تَنْفِـى يَـدَاها قِـذَافُ غريبـةٍ بيَـدَيْ مُعِـينِ
٢٩- تَـسُدُّ بـدَائِمِ الخَطَـرَانِ جَثْـلٍ خَوايَـةَ فَـرْجِ مِقْـلاتٍ دَهِـينِ
٣٠- وتـسمعُ للـدُّباب إذا تَغَنَّـي كتغريد الحمامِ على الوُكُـونِ
٣١- وألْقَيْـتُ الزمـامَ لهـا فنامـتْ لعادَتِهـا مِـنْ الـسَّدَفِ المُـبِينِ
٣٢- كـأن مُنَاخَهـا مُلْقَـى لِجَـامٍ علـى مَعْزَائِهـا وعلـى الـوَجِينِ
٣٣- كأن الكُورَ والأنْساعَ منها علـى قَـرْوَاء مـاهِرةٍ دَهِـينِ
٣٤- يَشُقُّ المـاءَ جُؤجُؤُهـا، وتعلُـو غَـوَارِبَ كُـلُّ ذي حَـدَب بَطِـينِ
٣٥- غَـدَتْ قَـوْدَاءَ مُنْشَقًّا نَسَاها تَجَاسَـرُ بالنخـاعِ وبـا لـوَتِينِ
٣٦- إذا مـا قُمْـتُ أرْحَلُهـا بِلَيْـلٍ تَـأَوَّهُ آهَـةَ الرجُـلِ الحـزِينِ
٣٧- تقـول إذا دَرَأْتُ لهـا وَضِينِي: أهـذا دِينَـهُ أبـداً و دِينِـي؟
٣٨- أ كُـلَّ الـدهرِ حَلٌّ وارْتِحـالُ أمـا تُبْقِـى علـيّ ومـا يقـيني!
٣٩- فـأبْقَى بـاطِلِي والجـدُّ منهـا كـدُكَّانِ الدَّرَابِنَـةِ المطِـينِ
٤٠- ثَنِيَـتْ زِمَامَهاووضَـعْتُ رَحْلِـي ونُمْرُقَـةً رَفَـدْتُ بهـا يمـيني
٤١- فرُحْتُ بها تُعَارِضُ مُسْبَكِراً علـى ضَحْـضَاحِهِ وعلـى المُتُـونِ
٤٢- إلى عمـرٍو ومِـنْ عمـرٍو أتتني أخِـي النَّجَـدَاتِ والحلـمِ الرَّصِـينِ
٤٣- فإمَّـا أنْ تكُـونَ أخِـي بحـقٍّ فـأعْرِفُ مِنْـكَ غَثِّـى مِـنْ سَـمِينِى
٤٤- وإلَّـا فـاطَّرِحْنِي واتَّخِـذْنِي عـدُوًّا أتَّقِيـكَ وتَتَّقِـيني
٤٥- ومـا أدْرِى إذاَ يَمَّمْـتُ وجْهـاً أُرِيـدُ الخـيرَ أَيُّهُمـا يَلِينِـي
٤٦- أالخـيرُ الـذي أنـا أَبْتَغِيـهِ أمِ الـشرُّ الـذي هـو يَبْتَغِينِـي
٤٧- دَعِـي مـاذا عَلِمْـتُ سَـأَتَّقِيهِ ولكـن بالمُغَيَّـبِ نَبِّئِينِـي. (١)

(١) الديوان ١٣٧-٢١٣ .

نحن الآن أمام نونية المثقب العبدي الشهيرة، وهى تحتاج منا إلى وقفة كبيرة لأنها مكونة من عدة لوحات تمهل الشاعر في وصف مكوناتها ،وأهتم بجزئياتها ، وأبدع في رسمها ، لهذا نحاول فهمها بعمق.

**اللوحة الأولى " المقدمة الغزلية"**

بدأ الشاعر قصيدته بالنداء؛ وبه بدأ في حوار مع فاطمة قائلا " أفاطم قبل بينك متعيني" وهى جملة بسيطة، قدم فيها المعمول الظرف على العامل. ثم جاء بعدة جمل مركبة .

**أ- الجمل مركبة :**

١- الجملة المركبة الأولى: جملة اسمية بدأها بالمصدر العامل وهو مبتدأ، ثم المضاف إليه، ثم معمول المصدر، وهو ما الموصلة ثم جملة الصلة + جملة فعلية خبر للمبتدأ ، هى مصدر مؤول من أن والفعل:" منعك ما سألتك أن تبينى"

٢- جملة مركبة الثانية :وهى فعلية مكونة من: فعل+ مفعول مطلق +مضاف إليه + جملة فعلية صفة للمفعول المطلق.وقد وصف المفعول بالإضافة للمفرد، وبالجملة الفعلية : " فلا تعدى مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوني" .

٣- جملة مركبة شرطية: مكونة من: جملة فعل الشرط (فعل+ مفعول أول + فاعل + مفعول ثان) + جواب الشرط (نفى+ فعل+ فاعل+ جارومجرور+ مفعول)جواب شرط ثان ( فعل+ فاعل+ مفعول)جواب شرط ثالث (فعل+ فاعل + مفعول) (جملة مقول القول فعلية) تشبيه لجملة مقول القول (جمله اسمية مبتدأ مجرور+ خبر جملة فعلية) (فعل+ فاعل مفعول موصول جملة صلة) فجاءت جملة الشرط في بيتين؛ فهى تمتد من البيت الثالث إلى الرابع:

فإني لو تخالفني شمالي خلافك ما وصلت بها يميني
إذا لقطعتها ولقلت : بيني كذلك أجتوى مَنْ يجتويني

**تحليل أسلوبي للجمل المركبة :**

يتميز أسلوب المثقب في بناء جمله بالجمل الممتدة، فالجملة عنده قد تمتد إلى بيتين أو ثلاثة؛ ربما يرجع هذا إلى أن البنية العميقة عنده تحمل فكرة كبيرة

يريد أن يعبر عن جميع أجزائها في جملة واحدة، فتبدو على السطح جملة معقدة مركبة من عدة جمل، لتشمل كل أجزاء الفكرة؛ بل إنه يضع شروطا لها؛ مما يجعله يلجأ إلى الجملة الشرطية ، وتتصارع الأفكار في ذهنه نحو السبق في الظهور على السطح، فيجعل جواب هذا الشرط يسبق فعل الشرط وأداته ،كأنه يقول لنا: انتبهوا فإن هذا الشيء أو الحدث الذي أصفه يشترط لفعله كذا أن يكون مقرونا بكذا، بهذا الأسلوب يشعر أنه عبر عن هذا الشيء أو الحدث الذي في ذهنه أو الفكرة بوضوح، كما نرى في مطلع هذه القصيدة:

**هل لهذا القلب سمع أو بصر أو تناه عن حبيب يدكر**
**أو لدمع سفاه نهية تمتري منه أسبابي الدرر**
**مرمعلات كسمطى لؤلؤ خذلت أخراته ، فيه معر**

ففي هذه الأبيات سؤال واحد في جملة واحدة ممتدة من البيت الأول إلى البيت الثالث هل لهذا القلب سمع أو بصر؟ ثم يمتد السؤال للشطرة الثانية:أو هل لهذا القلب تناه عن حبيب يدكر، ثم يمتد السؤال نفسه إلى البيت الثاني: هل لهذا الدمع عن سفاه نهية، ثم ينطلق في وصف هذا الدمع في الشطرة الثانية والبيت الثالث كله.

ب ـ **تعدد جواب الشرط:**

نلاحظ في التراكيب هذه اللوحة تعدد جواب الشرط. نحو :

**فإني لو تخالفني شمالي خلافك ما وصلت بها يميني**
**إذا لقطعتها ولقلت بيني كذلك أجتوي من يجتويني**

فجواب الشرط الأول (ما وصلت بها يميني) وجواب الشرط الثاني (إذاً لقطعتها ولقلت بيني).

ج ـ والملاحظة الأخيرة في هذا الموضوع هي إتيانه بالمثال على ما يقوله وهو تأكيد وتعليل لسلوكه، كأنه دستور حياة لديه، يقول "كذلك أجتوي من يجتويني".

**اللوحة الثانية: "وصف الرحلة والراحلة"**

**عناصر اللوحة ومكوناتها التركيبية :**

جعل الشاعر هذه اللوحة لوصف قافلة المحبوبة الظاعنة، وهى تبدأ من البيت الخامس إلى البيت العشرين، وتبدأ بسؤال يشير إلى دهشة الشاعر عندما رأي هؤلاء الظعن كأنه؛ لا يعرفهن، ثم يردف ذلك بسؤال آخر يوجهه إلى صاحبه؛ كأنه متشكك في أمر هؤلاء الظعن، فنري تحول في موضوع السؤال الأول إلى الثاني؛ حيث السؤال عام موجه لأي شخص يسمعه، ثم يجعله موجها إلى صاحبه، وتحول آخر في الرؤية؛ من وضوح الرؤية إلى تشكك فيما يرى فهو تحول من: لمن ظعن تطلع؟ إلى تبصر هل ترى ظعناً؟

**أ ) المكان:**

يأتي دور المكان في هذه اللوحة؛ فنجده لا ينسى ذكر المكان في السؤالين فهنَّ تطلعنَ من ضبيب [ موضع ببلاد عبد قيس] وهنَّ بجانب الصحصحان [واد في طريق الشام من المدينة] وهذا الذكر للمكان له قيمة أسلوبية، وهى تحديد موقع الحدث ليبين صدق قوله، ودقته في الوصف الذي لا ينسى فيها خلفية الحدث، وكذلك توضيح موضع بداية رحلة هذه القافلة، التي حفل فيها بالمكان كثيراً، حيث ذكر بعد الإشارة إلى نقطة البداية؛ المواضع التي مرت عليها هذه القافلة، بل إننا نلاحظ أنه يزاوج بين المكان والوصف لتلك الظعائن، فهو حريص على توضيح الخلفية المكانية للحدث، فكل من الجار والمجرور والظرف يوضحان هذه الصورة الوصفية للوحة التي يرسمها لقافلة النساء.

**ب) ملامح تركيبية باللوحة:**

١ـ أنواع الجمل باللوحة :

جاءت جمل الشاعر موظفة لهذا الغرض(رسم تلك اللوحة) فأكثرها جمل فعلية قصيرة أفعالها تدل على الحركة نحو: " تطلع - خرجت - تبصر - مررن - نكبن - قطعن - يشبهن - خذلن - تنوش - ظهرن - سدلن - ثقبن - أرين - كنن - يرجع - أريش - تبذ - علون - هبطن - يرجع - مشد - عصبت – صرمتي".

هذا الكم الكبير من الأفعال يدل على تتبع الشاعر لتلك القافلة عبر رحلتها لحظة بلحظة، فهي تحتوى على خمسة وعشرين فعلا، تكوّن العدد نفسه من الجمل الفعلية القصيرة، وبجوارها أيضا عشر جمل اسمية قصيرة، وجملتان اسميتان طويلتان.

٢ـ الاستفهام والقيمته الأسلوبية :

ولو نظرنا إلى لوحته الثانية نظرة مجملة لوجدناها عبارة عن فكرة واحدة، لا تختلف عن سابقتها فهي تبدأ بالسؤال؛ كأنه لا يعرف هؤلاء الظُعن، والجملة الاستفهامية تحتل مكانة كبيرة لدى المثقب؛ فهو يوظفها باستمرار في مواقف الغزل، وقد أحصيت الأبيات التي ورد فيها استفهام في ديوانه فوجدتها خمسة أبيات; وكلها في أبيات غزلية. استخدام في أكثرها حرف الاستفهام [هل] ثلاثة مرات، وفى موضع واحد اسم الاستفهام [من] وفى موضع آخر [ما] الاستفهامية، وكلها جمل اسمية عدا واحدة فعلية، وهذه الأبيات هي:

**هل عند غان لفؤاد صد ... من نهلة في اليوم أو في الغد**
**هل لهذا القلب سمع أو بصر ... أو تتاه عن حبيب يدكر**
**أو لدمع عن سقاه نهية ... تمتري منه أسابي الدرر**
**أعاذل ما يدرك أن رب بلدة ... إذا الشمس في الأيام طال ركودها**
**لمن ظعن تطلع من ضبيب ... فما خرجت من الوادي لحين**
**تبصر هل ترى ظعنا عجالا ... بجنب الصحصحان إلى الوجين**

ولكننا نرى بعد هذا الاستفهام استفهاماً آخر في البيت الخامس، لم يبدأ به الجملة كما سبق؛ بل يسبق هذا الاستفهام هنا فعل أمر تبصر، كما في الاستفهام الذي في البيت الثالث، الذي سبقه بنداء (أعاذل)، و بعد الاستفهام يكمل الشاعر البيت بوصف لأحد أركان جملة الاستفهام؛ هو جملة أو شبه جملة، هذا أسلوب المثقب في الاستفهام.

ولكنه ينحرف عن هذا الأسلوب في موضعين: الأول على لسان ناقته، والثاني على لسان نفسه؛ يعبر به عن حيرته، وهذا الانحراف جاء بسب انحرافه

في الموضوع، فالشاعر هنا لا يتحدث في موضوع الغزل كما سبق أن ذكرت كشرط تركيبي لبناء نمط السؤال الخاص بالغزل، لكن من حيث البناء العام للسؤال فهو لايزال يستخدم التركيب الاستفهامي نفسه، فهو يسأل بالهمزة في جمل استفهامية فعلية واسمية وهذه الأبيات هي:

**تقـــول إذا درأت لهـــا وضـــيني ... أهـــذا دينـــه أبـــداً ودينـــى؟**
**أكـــل الـــدهر حـــل وارتحـــال؟ ... أمـــا يبقـــى علـــى ومـــا يقـــيني؟**
**ومـــا أدرى إذا يممـــت وجهـــا ... أريـــد الخـــير أيهمـــا يلـــيني؟**
**أ الخـــير الـــذي أنـــا أبتغيـــه؟ ... أم الـــشر الـــذي هـــو يبتغـــيني؟**

أما طول الجمل الاستفهامية في هذا الموضع فنجدها ست جمل قصيرة كلها جمل اسمية، وجملة واحدة فعلية، هى:

أولا الجمل الاسمية: ١- أهذا دينه أبداً وديني؟ ٢- أيهما يليني؟
٣- الخير الذي أنا أبتغيه؟ ٤- أم الشر الذي يبتغيني؟ ٥- أكل الدهر كل وارتحال؟
ثانيا فعلية: أما يبقى على وما يقيني؟

وهنا نرى تميز هذه الأسئلة عن سابقتها في قصر الجمل واستخدامه أداة استفهام واحدة، هل لأنه هنا يتحدث عن ناقته وحيرتها معه، فهو يبث من خلالها شكواها، فلا يحتاج إلى إطالة؟ على عكس ما في الموضع الأول، حيث إنه يتحدث عن غرامه، وكما يقول الشاعر (فتطويل أحاديث الهوى لذة أخرى) ولهذا يطيل في أسئلة الهوى والغرام بالوصف بأنواعه وتنويع أداة الاستفهام لأنه لذة أخرى؟

٣- الشكل العام للجمل:

إننا لا نجد تقديما أو تأخيرا لأحد أركان الجملة، أو مكملاتها عن وضعه المعروف، إنما تسير على المعتاد. فالجملة الفعلية مكونة من:

(فعل + فاعل + مفعول + ظرف + جار ومجرور)

وقد يختفي أحد هذه الأجزاء، ولكن يبقى مكانه خالياً، وكذلك الجملة الاسمية:

(مبتدأ+ خبر+ ظرف+ جار ومجرور)

وما نلاحظه أن الظرف والجار والمجرور يقومان بوظيفة تكميلية ووصفية أيضا، ونلاحظ كذلك في الجملة الاسمية أن المبتدأ موجود، وهو الضمير (هن) عائد على هذه الظعن، أو محذوف وعائد عليهن . فيقول: هن كذلك - هن على الرجائز - هن على الظلام - أو محذوف نحو كغزلان أي هن- قواتل أي هن.

**ث) أسلوب العرض أحداث:**

يقوم أسلوب المثقب في عرضه للحدث على التسلسل؛ فهو يبدأ بالسؤال عن الظُعن؛ كأنه لا يعرفهن؛ ثم يتجه إلى وصف هذه الطعن؛ ثم يبدأ بذكر الرحلة من بدايتها من ضبيب، ثم مررن على شراف، ثم قطعن فلجا، ثم يتوقف لوصف هذه القافلة تاركا خط سير هذه القافلة ليصفها، فهي تشبه السفينة وكالغزلان...

**ج) ملاحظة صوتي:**

ومما يلفت الانتباه في هذه اللوحة افتتان الشاعر بضمير الإناث هُنَّ، فقد ذُكِر في هذه اللوحة عشرين مرة ما بين متصل، ومنفصل نحو: وهن كذلك... رجعن - مررن نكبن - قطعن - يشبهن - خذلن - حدوجهن - ظهرن - سدلن - ثقبن - أرين - كنن - علون - هبطن - قطعن"

هذا التكرار لتلك الأصوات يشير إلى إدراك الشاعر للقيمة الصوتية لهذا الضمير، فهو مكون من مقطعين هما: هُنْ + نَ ، من النوع الثالث والأول ، فعن طريق تكرار هذه المقاطع المتماثلة في الأبيات يحدث الشاعر انسجاما صوتيا؛ ناتج عن التوافق في نوع المقطع، ونوع الأصوات التي تتكرر .

**د) التشطير في بناء الجمل:**

والملاحظة التي رأيتها في تلك اللوحة أيضا الإتيان بجملتين في شطرة واحدة، وهذه الجمل فعلية قصيرة تدل على حركة، نحو: "ظهرن بكلة، وسدلن رقما - أرين محاسنا، وكنن أخرى - علون رباوة وهبطن غيبا "

ويجمع كل هذه الأفعال من حيث المعنى أنها أفعال متضادة: {ظهرن وسدلن}

{أرين وكنن} - {علون وهبطن} و ما هذا إلا أن الشاعر يريد أن يفاجىء سامعه بالشيء وضده في لحظة واحدة، وهى من الانحرافات الجميلة لديه، فنحن نعلوا ثم نهبط معه، ثم يأتي النمط الآخر للتشطير في لجمله، وهو أن يكون بالبيت الواحد جملتان: فعلية واسمية أو فعليتنا أو اسميتان نحو:

**مررن علـــى شراف فذات هجل ونكبن الذرانـــح باليمين**
**وهن كذاك حين قطعن فلجاً كأن حدوجهن على سفين**
**فلا تعـــدى مواعـد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوني**
**إذا ما فتنـــه يومـــا برهـن يعز عليه لـم يرجـع بحين**

فكل شطرة من هذه الأبيات تحتوى على جملة واحدة، ولكن كل من الجملتين يرتبط بالآخر، إما أن تكون جواب شرط فعله في الشطرة الأولى أو صفة، وصاحبها في الشطرة الأولى إن هذا النمط من التراكيب يوضح ارتباط أجزاء القصيدة ببعضها؛ فكل جزء يسلم إلى الآخر، وأيضاً كل بيت يسلم لما بعده ويرتبط به من حيث التركيب، كأنما الأفكار التي تنمو في ذهنه تجد قوالب لغوية صحيحة لتصب فيها، فالفكرة التي بدأ حديثه بها هي النداء على محبوبته، ثم الحديث معها وكأنها جملة واحدة في ثلاثة أبيات مستخدما التراكيب المختلفة في اللغة من جملة اسميه، ثم جملة فعلية ثم جملة فعلية ثم جملة فعلية صفة للمفعول في الجملة التي قبلها، ثم يختمها بجملة مركبة شرطية أو يأتي جواب الشرط فيها في الشطرة الثانية والبيت الذي يليه كله جواب شرط آخر.

**هـ ) الوصف :**

ينطلق الشاعر - كما ذكرت آنفاً - في لوحته واصفاً تلك القافلة من لحظة ظهورها ثم خروجها من ضبيب، ومرورها على شراف، ثم يشبههن. بالسفين ثم بالغزلان، ثم يصف جمالهن وحركتهن، ثم ينهى حديثة معهن بالإشارة إلى أثر فراقهن عليه; ليمهد لحديثه عن موضوع أو لوحة جديدة، (الثالثة) والتي سوف يصف فيها ناقته التي هي مسلاته عن هن، فهي التي تسليه عن صرمهن قائلا: فسل الهم عنك بذات لوث.

**أخيراً: مقارنة تركيبية بين اللوحتين:**

عند دراسة اللوحة الأولى والثانية من حيث التراكيب، وجدنا أنهما يحتويان على عدد خمس جمل مركبة، وعلى ثلاثين جملة فعلية، وخمس عشر جملة اسمية، مما يدل على غلبة الجملة الفعلية، وقد كانت جمله موزعة على أنماط مختلفة منها:

١- قد تكون الجملة المركبة في بيت واحد، أو قد تمتد إلى أكثر من بيت كما في البيت الثالث عشر والرابع عشر فهو يقول:

**أرين محاسناً، وكنن أخرى من الديباج والبشر المصون**
**ومن ذهب يلوح على تريب كلون العاج ليس بذي غصون**

فهذان البيتان قد جاءت الشطرة الأولى من أولهما تحمل جملتين، ثم تمتد الجملة الثانية منهما إلى الشطرة الثانية، والبيت الثاني كله، مستخدما الجار والمجرور، ولكن يظل أسلوب المثقب وطريقته في الوصف مسيطرة على كل أبياته; وهى طريقة التدرج في الوصف، فهو يصف الأخرى بالجار والمجرور، ثم يأتي بعده بوصف جملة للمجرور، أي الذهب (يلوح على تريب) ثم وصف بالجار والمجرور الجديد، وهو التريب، ثم يليه بوصف جملة، فهو يولد من الوصف وصفا آخر، وبترتيب واحد من الجار والمجرور أو الظرف أو المفرد إلى الجملة بنوعيها كل هذا تحت عباءة الجملة الأصلية.

**اللوحة الثالثة: " وصف الناقة "**

**أ) تحليل تركيبي لجمل اللوحة :**

يبدأ الشاعر هذه اللوحة بقوله في وصف هذه الناقة:

**فسل الهم عنك بذات لوث عزافرة كمطرقة القيون**

تبدأ من البيت الحادى والعشرين إلى البيت الحادى والأربعين من النونية، فلو نظرنا إلى البيت الأول منها وتركيبه نجده يسير على أسلوب المثقب لا يحيد عنه، فهو مكون من جملة مركبة يأتي بالفعل وفالفاعل (سلِّ) + مفعول أول (الهم) + جار ومجرور هو في الأصل مفعول ثان (بذات لوث) + صفة مفردة للجار والمجرور

(عزافرة) + جار ومجرور شبه جملة وصف للمجرور الأول أي المفعول الثاني، تشبيه لقوة الناقة (كمطرقة القيون) فهو يتدرج - كما اعتادنا في وصفه - من الوصف المفرد ثم شبه الجملة، ويأتي في البيت بالوصف كأنها أصبحت بصمة له في وصفه.

و هو يسير على هذا المنهج الوصفي في البيت الذي يليه:

**بصادقة الوجيف كأن هـرا يباريها ويأخـــذ بالوضيــن**

فهو يبدأ بالجار والمجرور فيصف الناقة، ثم يضيف المجرور الذي هو صفة إلى الموصف الذي جاء به بعده، ثم يأتي بالتشبيه بكأن في جملة اسمية منسوخة خبرها جملة فعلية ومعطوف عليها بجملة فعليه وكلاهما وصف بجمل فعلية.

ثم يبدأ البيت الذي يليه بجملة وصفاً آخر للناقة، كان الضمير في الفعل (كساها) رابطا إحاليا بين هذا البيت والبيت الذي يسبقه ومرجعة الناقة، وهى جملة طويلة، قدم المفعول فيها على الفاعل (سوديٌّ)

**كساها تامكا قرداً عليها سواديُّ الرضيح مع اللّجيـنِ**

البيت مكون من: فعل+ مفعول+ صفة للمفعول+ جار ومجرور + فاعل + مضاف إليه + ظرف+ مضاف إليه، ثم يلي ذلك بجملة شرطية مقرونة بتشبيه، ثم وصف بجملتين فعليتين، ثم تشبيه لذلك الوصف، ثم يليه بجملة فعلية وصف آخر لها، وجملة فعلية أخرى.

فهذا كله يعطينا فكرة عن منهجه في الوصف هنا، فهو بين وصف بجملة فعلية وتشبيه بكأن فهو يزاوج بينهما، فلو نظرنا إلى هذه اللوحة نجد من البيت الحادى والعشرين حتى نهاية اللوحة في البيت الحادي والأربعين؛ عبارة عن جمل وصفية للناقة تقوم على هذا المنهج: وصف بجملة فعلية، ثم تشبيه بكأن; وعدد الجمل الفعلية في هذه اللوحة سبع وعشرون جملة أفعالها (أربعة عشر فعلا مضارعا ـ واثنا عشر فعلا ماضيا ـ فعلا واحدا أمرا)

وعدد حالات التشبيه بكأن أربع حالات، وحالتان بالكاف، في حين أن عدد الجمل الاسمية خمس جمل فقط، وعدد الجمل الشرطية أربع فقط، وعدد

كبير من الجار والمجرور يصل إلى خمس عشرة حالة للوصف، والمضاف إليه يصل إلى اثنتى عشرة حالة، ونخرج من هذا الإحصاء العددي بالآتي:

أن الرجل سخر إمكانيات اللغة المختلفة لرسم لوحته، وأن هدف الرجل هو وصف دابته فقط (جسدها وسرعتها وحركتها)، ولكي يوضح هذه الصفات أكثر؛ شبَّهَهَا بما هو أفضل منها في هذه الصفات، وبهذا يمكن أن نفهم من هذه الأعداد الأتي:

أ - كثرة عدد الجمل الفعلية لتتناسب مع صفة لحركة والسرعة التي يصف بها ناقته.

ب- كثرة استخدام كأن والكاف؛ ليوضح قيمة صفاتها مقارنة بسائر الدواب.

ج- المزاوجة بين التشبيه والوصف لتوضيح الصورة أكثر، وحتى لا يمل السامع من تكرار الحديث عنها بنمط واحد من التركيب.

د- استخدام الجمل الشرطية بهدف دقة الوصف، فهو لا يشد السناف لناقته إلا إذا قَلِقَتْ، فهذا حدث مرتبط بالآخر، فلو حدث الأول (فعل الشرط) حدث الثاني (جواب الشرط).

هـ- وهذا العدد الكبير من الجار والمجرور والإضافات التي وظفها للوصف يوضح قدرته على استخدام كل إمكانيات اللغة لهدفه الكبير وهو الوصف أو لرسم لوحته، فكل جزء في الجملة يصف بدقة لوحته، فلو نظرنا إلى نماذج هذه المكملات لوضحت الفكرة؛ فهو يقول: فسل الهم عنك بذات لوث... بصادقة الوجيف.

و- عدد كبير من الجمل القصيرة الوصيفية يسخرها الشاعر لعملية الوصف يقول الشاعر:

**تصك الجانبين بمشفتـــر  له صوت أبح من الرنيــن**

فجملة "له صوت أبح من الرنين" جملة اسمية، وكما في هذين البيتين نجد جملتين فعليتين يقول:

**غدت قوداء منشقا نساهـا  تجاسـر بالنخــاع وبالوتين**

**فرحت بها تعارض مسبكراً على ضحضاحه وعلى المتون**

نجد جملة (تجاسر بالنخاع وبالوتين) - والجملة الثانية (تعارض مسبكراً على ضحضاحه)

ز- تقديم جواب الشرط على فعل الشرط، وأداة الشرط: كما في هذا البيت

تقول إذا درأت لها وضيني: أهذا دينه أبداً وديني ؟

أي (إذا درأت لها وضيني تقول: أهذا دينه أبداً وديني، ولكنه قدم تقول لأهميته.

ومثله هذا البيت الذي قدم فيه جواب الشرط على فعل الشرط يقول:

**وتسمع الذباب إذا تغنـــي كتغريد الحمام على الوكون**

أي إذا تغني الذباب تسمع له صوت كتغريد الحمام على الوكون.

**ح- الالتفات :**

١- الالتفات داخل اللوحة: يبدأ الشاعر حديثه متوجها إلى صديقه بقوله: فسل الهم عنك...، ثم ينتقل إلى وصف هذه الناقة ثم يعود لصديقه قائلا: تسمع للذباب...ثم يعود لوصفها مرة أخرى، فهو ينتقل من ضمير المخاطب إلى المفردة الغائبة ثم يعود للمخاطب، ثم للغائبة، ثم يقوم بحوار معها، وهذا موجود في الشعر الجاهلي بكثرة - بدأه بقوله" تقول..." ثم يتكلم عن سلوكه معها (ثنيتُ زمامها...) ويختم بذلك لوحته.

٢ - الالتفات الرابط بين اللوحات: يقوم الشاعر بالربط بين اللوحات عن طريق الالتفات من الحديث إلى صاحبته إلى الحديث إلى صاحبه، فيقول:

**فقلت لبعضهن، وشُدَّ رَحْلي لهاجرة عصبـــتُ لهـا جبينـــي:**
**لعلك إن صرمت الحبل منى أكون كذاك مصحبتي قروني**
**فسل الهم عنك بذات لـوث عُذافرة كمطرقـة القيـــون**

أما ربط اللوحة الثانية بالثالثة فإنه عند حديثه عن ممدوحه عمرو نجده يربط بينهما عن طريق السرد، وليس الالتفات فهو يربط بالفعل (فرحت) أي إلى عمرو بهذه الناقة التي وصفتها طويلا، فاستخدم الفاء للربط بينهما في إطار ما يسرده من أحداث مرت به في رحلته:

**فرحت بها تعارض مسبكرا على ضحضاحه وعلى المتون**
**إلى عمرو، ومن عمرو أتتني أخى النجدات، والحلم الرصين**

فالفعل (رحت) يأتي معموله في البيت الثاني (إلى عمرو) وفى البيت الثاني نفسه؛ يبدأ بمدح عمرو قائلا: ومن عمرو أتتني أخي النجدات والحلم الرصين، وبذلك يكون قد ربط بين لوحة مدح عمرو ووصف الناقة.

ويقول د.سعد مصلوح عن الالتفات وقيمته الأسلوبية: "إن تحولات الضمائر تقدم إلينا ضربا من الالتفات على مستوى النص يجاوز ما عرفه البلاغيون على مستوى الجملة أو الشاهد والمثال؛ إذ يغدو الالتفات هنا مظهرا يجسد لغويا في ظاهر النص علاقة التأرجح والتحول والصيرورة الدائمة التي تميز المفاهيم الفعالة في عالم النص. وهنا يكتشف المتلقى أشكالا وأبعادا ودلالات أخرى للالتفات إذا ما تدبره من منظور النص"[(١)].

**كلام الناقة:**

نجده يجرى حواراً مع الناقة، ولكن ليس كغيره من الشعراء الجاهلين الذين يجعلون الناقة أو الفرس يتكلم عن طريق قولهم - كما قال عنترة: لكان لو علم الكلام مكلمي[(٢)] بل نجدها تتكلم فتقول: أكل الدهر حل وارتحال؟ أما يبقى على وما يقيني؟ أهذا دينه أبدا وديني؟ فهو يُشخِّصْ منها إنساناً يتكلم ويتحاور معه، وهذا هو الانحراف الأول لدى الشاعر في وصف الناقة، فهو دائماً يحكى عنها ويصفها في كل قصائده أو عن فرسه، ولكن هنا انحراف عن ذلك الوصف المحكى على لسانه من إخبار أو تشبيه إلى غير ذلك، ثم يقف هنا ليجعلها تتكلم وتحاوره، بل تلتفت في حوارها معه من مخاطبته إلى الحوار معه بضمير الغائب لا المخاطب في : أما يبقى على وما يقيني؟ أهذا دينه أبدا وديني؟ فكان هذا الضمير الغائب بدلا من المخاطب.

---

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية :د.سعد مصلوح : عالم الكتب ٢٠٠٦ ص٢٣٥

(٢) أنظر ديوان عنترة: ١٢٦.

**لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى**

**آثار البيئة:**

والشاعر لا ينسلخ عن بيئته، فهو يكثر من تصويرها، فهو - كما ذكرنا من قبل - عاش على البحر في البحرين، ولهذا نجده يقتنص من تلك البيئة البحرية وصفه لناقته فيقول:

**كأن الكور والأنساع منهـــا  علـــى قرواء ماهـــرة دهـــين**
**يشق الماء جؤجؤهـــــا وتعلـــو  غوارب كل ذي حـــدب بطين**

فهو يصفها بالسفينة التي تشق عباب الماء، وترتفع فوق الأمواج، وهنا يبدو أسلوب المثقب العبدي في الوصف، فهو لا يصفها بالسفينة، بل يصف الرحل الذي عليها والانساع (سير تشد به الرحال) كأنه في قرواء (سفينة طويلة)، ماهرة (سابحة)، ثم يمضى في وصف تلك السفينة التي تشق بصدرها الماء، وتعلو فوق الأمواج المرتفعة والواسعة البعيدة.

لقد أوهمنا الشاعر أنه يصف الرحل الذي بالسفينة، لكنه في الواقع يصف الناقة مشبها إياها بالسفينة، مقتطعا ذلك من بيئته الساحلية.

**اللوحة الأخيرة : "مدح عمرو بن هند "**

وهى مدح لعمرو بن هند ، وفى هذه اللوحة تتضح مدى علاقة المثقب بعمرو بن هند فهو بعد مدحه إياه يحدثه كأنه ندٌّ له رغم أنه ملك.

وبادئ ذي بدء فإن الشاعر استهل مدحه لعمرو بما اعتدناه فيه من قبل، وهو الانتقال من وصف الناقة إلى مدحه لعمرو، بقوله (إلى عمرو)، وقد استخدم هذه البداية في قصيدة سابقة قائلاً:

**وإلى عمرو، وإن لم آته  تجلب المدحة أو يمضي السفر**

ولو قمنا بإحصاء مواضع المدح التي في قصائده، وكيف يبدأ المدح لتبين أن عدد القصائد التي مدح فيها في ديوانه أربع قصائد كلها، تبدأ بـ (إلى عمرو[1]-

(١) انظر الديوان ص ٢٠٨.

وإلى عمر[١]- إلى ملك[٢] بذ الملوك) في ثلاث قصائد، وفى الرابعة يعدل عن ذلك المنهج أي ينحرف عنه، فيقول مادحاً خالد بن أنمار بن حارث:

**إنما جاد بشأس خالـــد بعد ما حاقت به إحدى العظم[٣]**

فهو يتحدث عن جود ممدوحه وكرمه بادئاً بالفعل جاد بدون أن يقول - كما سبق - (إلى خالد).

أما منهجه في المدح فهو يصف ممدوحه وصفاً خُلُقِياً وخَلْقِيا، ثم يمدح كرمه وشجاعته، في جمل تتميز بصفات معينة، منها أنها جمل قصيرة، ويغلب أن تكون جملا اسمية، وفى إحصاء للقصائد التي تحتوى على مدح في غير هذا الموضع، وجدنا أربع وعشرين جملة، منها إحدى عشرة جملة (اسمية - قصيرة) وفى المقابل خمس جمل فعلية قصيرة والمجموع ست عشرة جملة قصيرة وهناك ثمان جمل طويلة - ما بين جمل معقدة، أو مركبة وجمل شرطية، وبين جملة غير شرطية، فمن الجمل القصيرة (واضح الوجه - كريم نحره - ملك السيف - بذ الملوك...)

أما الجمل المعقدة أو المركبة: فنجد أكثرها جمل شرطية، ويكثر فيها تقدم جواب الشرط على فعل الشرط وأداة الشرط نحو (يبرئ الكلب إذا عض وهر)" (إن لم آته تجلب المدحة أو يمضي السفر).

أما في هذه اللوحة فنجد الشاعر ينحرف عن منهجه السابق، الذي يقوم في أغلبه على المدح بجمل قصيرة؛ أغلبها جمل اسمية، لأنه يوجه المدح إلى شخص الممدوح مباشرة، أما في هذا الموضع فهو يقيم مدحه على أساس الحوار مع ممدوحه؛ فبعد مدحه مباشرة (أخي النجدات والحلم الرصين) يتجه إليه قائلاً: إما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثي من سميتي، وإلا فاطرحني واتخذني

---

(١) انظر الديوان ص ٦٨.

(٢) انظر الديوان ص ١٠٥.

(٣) انظر ديوانه ص ٢٢١.

عدواً أتقيك وتتقيني، وكأنه يوعده ولا يمدحه، بل إن هذه الأبيات الأخيرة تشير إلى جُرْأة الشاعر، فيقول:ما أدرى إذا يممت وجها أريد الخير أيهما يليني أالخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني).

لقد عبر الشاعر عن عدة معان بعدة تراكيب، فقد عبر عن مكانته عند عمرو بن هند، وأنه يعده أخا له، وذلك باستخدام هذا التركيب:

إما أن... وإلا فـ... وكذلك باستخدام كلمة (أخي)، بل إنه يجعله في مكانة الند في قوله (أتقيك وتتقيني)، وهذا التركيب السابق تركيب معقد احتوى على عدة جمل فهو يتكون من:

إما+ أن+ تكون+ اسمها+ خبرها+ جار ومجرور + جملة فعلية (فعل+ فاعل مستتر+ جار ومجرور+ مفعول)+ إلا+فاء + فعل أمر+ مفعول.

(وقد أشار إلى هذا التركيب وهذين البيتين على بن محمد النحوي الهروي في كتابة الأزهية يقول:" وقد يجوز أن تأتى بـ (إما) غير مكررة إذا كان في الكلام عوض من تكرارها، نقول: (إما أن تكلمني، وإلا فاسكت، والمعنى إما أن تكلمني، وإما أن تسكت، قال المثقب العبدي يخاطب عمرو بن هند الملك.

**فإما أن تكون أخي بصدق فاعرف منك غثي من سميني**

**وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني** [1]

فهو قد استخدم (إلا) مكان إما، هذا التركيب للتخيير، ويمتد هذا التخيير إلى البيتين الأخيرين:

ولكن التخيير الأخير جاء بالهمزة وأما، لأنها في صبغة استفهام.

(١) كتاب الأزهية في علم الحروف: ١٤٠.

## القصيدة السادسة

١- ذادَ عنِّي النومَ همٌّ بعد همّ ... ومِن الهمِّ عناءٌ وسَقَمْ
٢- طَرَقَتْ طلحةُ رَحْلِي بعد ما ... نام أصحابي، ولَيْلِى لم أنمْ
٣- طَرَقَتْنا ثم قلنا - إذ أتَتْ - : ... مرحباً بالزورِ لمّا أن أَلَمْ
٤- ضَرَبَتْ - لما استقلتْ - مثلا ... قاله القوَّالُ عن غير وَهَمْ
٥- مثلا يَضْرِبُهُ حُكَّامُنا ، ... قولهم: " في بيته يؤتى الحكمْ "
٦- فأجبتْ بصوابِ قولها : ... مَنْ يَجُدْ يُحْمدْ ومَنْ يَبْخَلْ يُذَمْ
٧- إنَّما جَادَ بِشَأْسٍ خالدٌ ... بعد ما حاقتْ به إحدى العُظَمْ
٨- من منايا يتخاسَينَ به ... يَبْتَدِرْنَ الزوْلَ مِن لحمٍ ودَمْ
٩- باكِرُ الجفنةِ ، رِبْعِيُّ الندى ، ... حَسَنٌ مَجْلِسُهُ ، غيرُ لُطَمْ
١٠- يجْعلُ المالَ عطايا جَمَّةً ... إن بذلَ المالِ في العرضِ أَمَمْ
١١- لا يُبَالِى ، طَيِّبُ النفسِ به ، ... عَطَبَ المالِ إذا العِرْضُ سَلِمْ
١٢- لا تقُولنَّ إذا ما لَمْ تُرِدْ ... أن تُتِمَّ الوعدَ في شيءٍ: نعمْ
١٣- حَسَنٌ قَوْلُ (نَعَم) من بعد (لَا) ... وقبيحٌ قولُ (لا) بعد "نعمْ"
١٤- إن (لا) بعد (نعمْ) فاحشةٌ ... فـ (بلا) فابْدَأْ إذا خِفْتَ الندمْ
١٥- فإذا قُلْتَ : نعم فاصبرْ لها ... بنجاحِ الوعدِ، إنَّ الخلفَ ذمّ
١٦- واعْلَمَ أنَّ الذمَّ نقصٌ للفتى ... وَمَتى لا يَتَّقِّ الذمَّ يُذَمّ
١٧- أُكْرِمُ الجارَ ، وأَرْعَى حقَّهُ ... إنَّ عِرْفَانَ الفتى الحقَّ كَرَمْ
١٨- أنا بيتي مِنْ مَعَدٍّ في الذُّرَى ، ... وَلِيَ الهامَةُ والفرعُ الأَشَمْ
١٩- لا ترانِي راتِعا في مَجْلِسٍ ... في لُحُوم الناسِ كالسَّبْعِ الضرِمْ
٢٠- إنّ شرَّ الناسِ مَن يَكْشِرُ لِي ... حِينَ يلقانِي ، وإنْ غِبْتُ شَتَمْ
٢١- وكلامٍ سيِّئٍ قَدْ وُقِرَتْ ... عنهُ أُذْنَاي وما بي مِنْ صَمَمْ
٢٢- فتَعَزَّيْتُ خشاةً أنْ يَرَى ... جَاهِلٌ أنِّى كما كان زَعَمْ
٢٣- ولبعضُ الصفحِ والإعراضُ عَنْ ... ذى الخَنَا أبقى وإن كان ظَلَمْ
٢٤- أجعلُ المالَ لعرضي جُنَّةً ... إن خيرَ المالِ ما أدَّى الذِّمَمْ[1]

(١) الديوان ٢٤٠-٢٣٣.

**مقدمة تمهيدية :**

هذه القصيدة تعد خروجاً عما اعتاده الشاعر في قصائده السابقة، من حيث التركيب والإيقاع والمضامين الفكرية التي بثها الشاعر فيها. فنحن أمام قصيدة تتحدث موضوع سبق أن تعرض له الشاعر في شعره، وعلى النهج السابق من تسلسل الموضوعات في داخل القصيدة، واللوحات السابقة، ولكن بصورة مختلفة في طريقة العرض.

**عرض القصيدة من خلال المقارنة:**

ولكي تتضح الصورة أكثر حول القصيدة لابد أن نقارن بينها وبين قصيدة أخرى للشاعر جاءت من البحر نفس، فهي من بحر الرمل الذي تفعيلاته هي:

**فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن**

هذه القصيدة هى القصيدة الثانية من بحر الرمل، التي مطلعها:

**هل لهذا القلب سمع أو بصر أو تناه عن حبيب يدكر**

وكلاهما يتفق في نفس العروض والضرب، فالضرب والعروض فيهما محذوف تحول من فاعلاتن إلى فاعلن، أما مطلع القصيدة فيهما مختلف، فالقصيدة الثانية تبدأ بجملة اسمية استفهامية تدل على حيرة الشاعر: أما القصيدة السادسة فتبدأ بجملة فعلية، يبث فيها الشاعر شكواه من الهم، ولكن كلاهما يتفق في أنهما يبدآن بمقدمة غزلة، ولكن الشاعر في القصيدة السادسة يبدأ أبياته من الأول إلى السادس بجمل فعلية ماضية (زاد - طرقت - ضربت - فأجابت - طرقتنا) جاءت كلها في جمل قصيرة (ذاد عنى النوم - هم بعدهم - طرقت طلحة رحلي - طرقتنا - قلنا - أتت - ضربت - لما استقلت - يضربه - حكامنا...) في حين أن القصيدة الثانية تبدأ بجملة طويلة تمتد إلى أكثر من بيت يدخل فيها الوصف التوليدي الذي يجعل الجملة الأولى تمتد إلى ثلاثة أبيات.

أما القصيدة السادسة فقد قامت على الحوار وليس الوصف، ولهذا كانت جملها قصيرة تكثر فيها أفعال الحوار مثل (قلنا - أجابت - قاله) وما يشتق عنها من أسماء نحو (قولها - قول - قولهم) .

**المقدمة الغزلية:**

المقدمة الغزلية في القصيدة السادسة تزيد بيتاً عن القصيدة الثانية، وفى القصيدة الثانية نرى المقدمة الغزلية كلها جملة واحدة، أي أنها تحمل فكرة ممتدة من البيت الأول إلى الخامس، أما بناء الجملة في القصيدة السادسة فهو مختلف تماماً، فكل بيت يبدو كأنه يحمل فكرة مستقلة، على الرغم من أن الأبيات كلها تحمل فكرة واحدة. وهذا من طبيعة الحوار. وهو يأتي للفكرة الواحدة في البيت نفسه بدليل، يقول:" ذاد عنى النوم هم بعدهم" ثم يأتي بدليل على أرقه الذي أحدثه الهم فيه قائلاً:" ومن الهم عناء وسقم" ثم يأتي البيت الذي بعد ذلك ليبين سبب الأرق قائلاً:" طرقت طلحة رحلي بعد ما نام أصحابي وليلى لم أنم " فهو مكون من ثلاث جمل فعلية ماضية، وهى جمل قصيرة، فزيارة طلحة هي سبب أرقه.

ثم يأتي البيت الثالث مرتبطاً بالسابق قائلاً: " طرقتنا - ثم قلنا - إذ أتت: مرحبا بالزور لما أن ألم " فنجد في هذا البيت خمس جمل فعلية ماضية تحتوى على الأفعال (طرق، قال، أتى، رحب، ألم) ، فلو أحصينا الجمل التي جاءت في هذه المقدمة الغزلية لوجدناها تحتوى على عشرين جملة منها جملة واحدة اسمية وسبع جمل فعلية فعلها مضارع، وعلى اثنتي عشرة فعلية فعلها ماض، وفى مقابل هذا نجد في المقدمة الغزلية في القصيدة الثانية تمتد من البيت الأول إلى الخامس حيث تنتهي المقدمة الغزلية، نجدها قد أتت بجملة واحدة هي جملة شرطية، مركبة طويلة، سبق جواب الشرط فيها فعل الشرط، أما جواب الشرط المتقدم هذا فقد جاء على شكل جملة اسمية تحتوى على عدة جمل وصفية توليدية داخل جملة جواب الشرط تلك، فهي تتكون من (جملة اسمية +جملة فعلية +جملة فعلية +جملة اسمية) بالمقارنة، نجد الجملة الاسمية في القصيدة الثانية هي:

**هل لهذا القلب سمع أو بصر ... أوتاه عن حبيب يدكر**
**أو لدمع عن سفاه نهية ... تمترى منه أسابي الدرر**
**مرمعلات كسمطى لؤلؤ ... خذلت أخراته ، فيه معز**[1]

(١) الديوان ٦٣.

تتكون من جملتين اسميتين أساسيتين مع جمل تابعة للثانية وصف لأحد أركانها.

- الجملة الأولى: هل لهذا القلب سمع أو بصر أو تناه عن حبيب يدكر
- الجملة الثانية: أو (هل) لدمع عن سفاه نهية تمتري منه أسابي الدرر
- الجملة الثالثة: (صفة للدمع)، و(هي) مرمعلات كسمطى اللؤلؤ
- الجملة الرابعة: (صفة لسمطي اللؤلؤ) خذلت أخراته
- الجملة الخامس: صفة أخرى لسمطي اللؤلؤ (فيه معر)

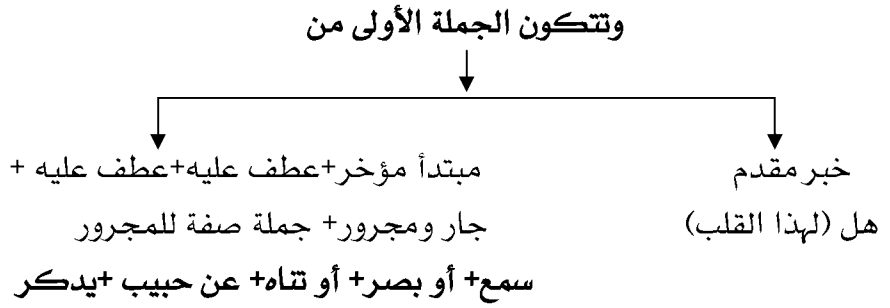


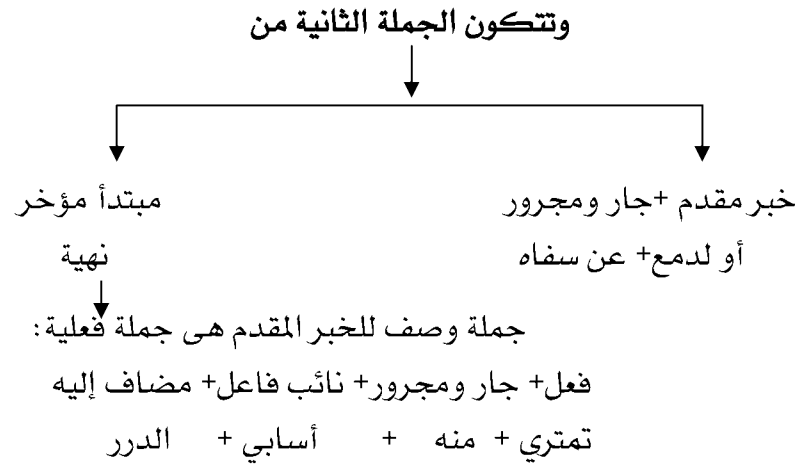

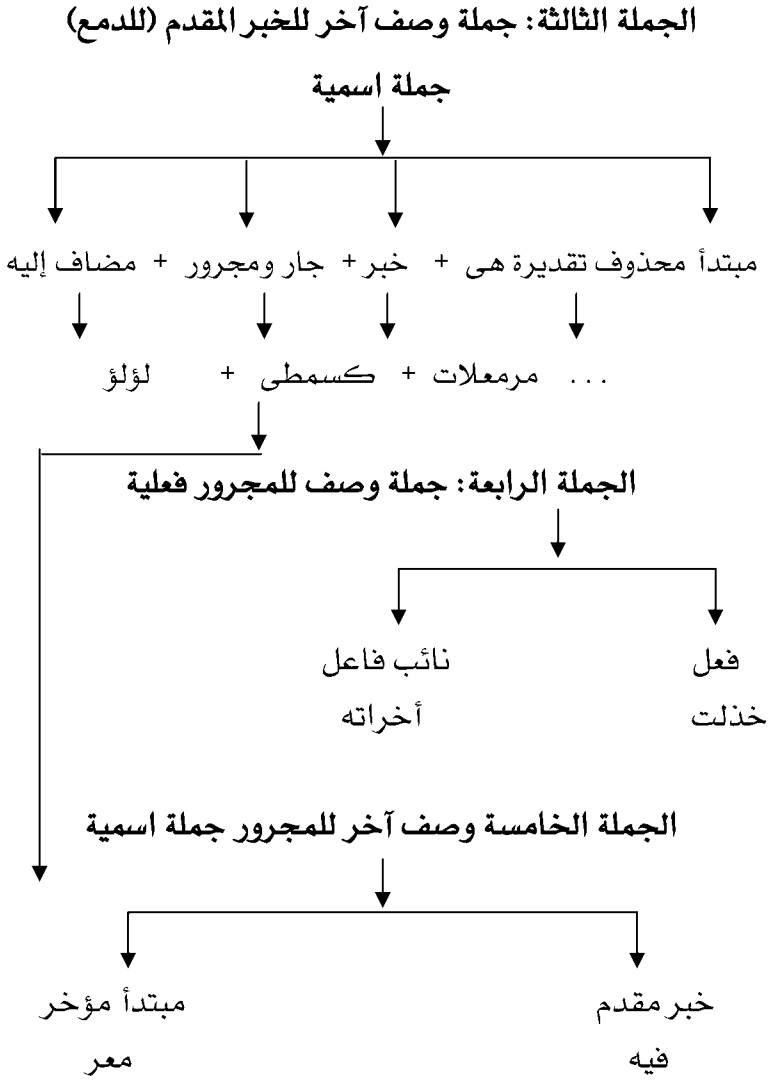


وبعد هذا العرض لجواب الشرط المقدم على فعل الشرط (في القصيدة الثانية) التي نقارنها بالقصيدة السادسة، تأتى جملة فعل الشرط في هذين البيتين:

**إن رأى ظعنـــا لليلى غدوة قـد علا الحزماء منهن أسر**

**قد علت من فوقها أنماطها وعلى الأحداج رقم كالشقر**[1]

(١) الديوان ٦٤، ٦٥ .

وهنا نجد جملة (فعل الشرط) مكونة من عدة جمل كلها وصف لمفعول جملة فعل الشرط فجملة فعل الشرط تتكون من:

جملة فعل الشرط :إن رأى ظعنا لليلى غدوة ، تتكون من :

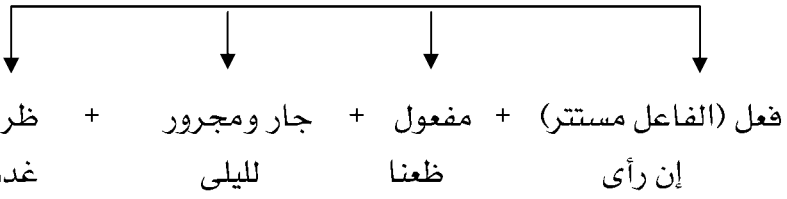


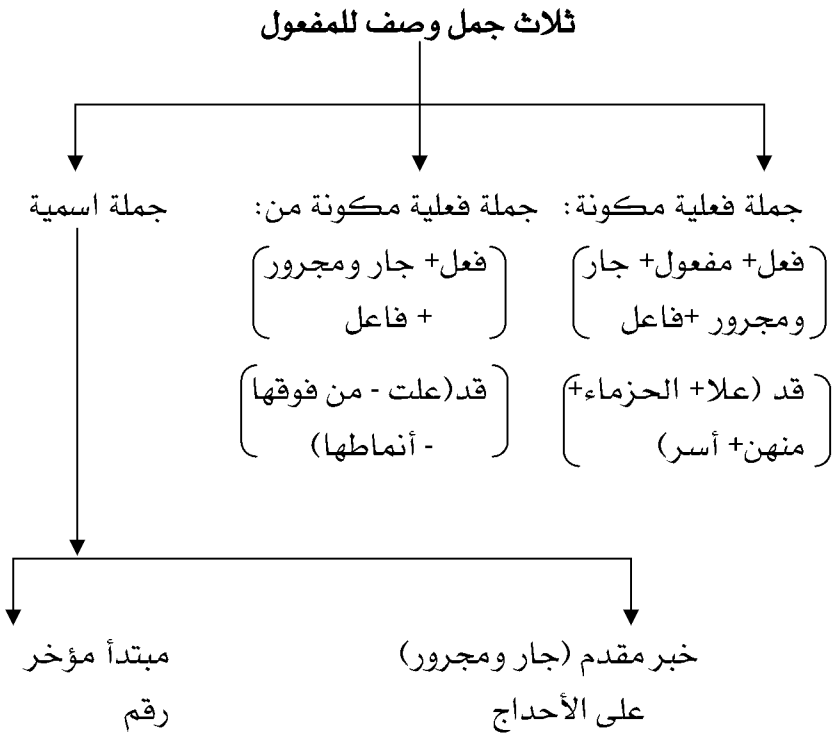


وبهذا التحليل نقول: إن المقدمة الغزلية في هذه القصيدة الثانية احتوت على جملة شرطية واحدة، قُدم جواب الشرط فيها على فعل الشرط، وجاءت في خمسة أبيات، وهى في الأصل جملة واحدة تحتوى بداخلها على عشر جمل وصفية؛ ما بين جمل فعلية (ست جمل)، وجمل اسمية (أربع جمل).

ومن هذه المقارنة يتضح أن الرجل أتى في القصيدة الثانية بجملة واحدة في

حين أتى في القصيدة السادسة بعشرين جملة قصيرة، وما حدث في القصيدة الثانية حدث في القصيدة الأولى، التي احتوت أيضا على مقدمة غزلية من البيت الأول إلى البيت السادس، وتحتوى هذه الأبيات على جملتين، تم تحليلهما في موضعهما، وكذا في القصيدة الثالثة حيث تدور أبيات المقدمة الغزلية حول هند وقد جاءت في جملة اسمية تلاها وصفية لهند.

أما القصيدة الرابعة فليست كذلك لأنها تحتوى على قصة وليست مقدمة غزلية.

أما القصيدة الخامسة فقد احتوت أيضا على مقدمة غزلية من البيت الأول إلى البيت الرابع وهى أيضا جملة واحدة ندائية لفاطمة وحوار معها.

أما القصيدة السابعة فهى وقوف على الطلل.

ومن هذا الإحصاء نلاحظ أن الشاعر في مقدماته الغزلية سار على منهج واحد وهو الإتيان بجملة واحدة، تحتوى على عدة جمل أغلبها وصفية، وهي تابعة للجملة الأولى، إلا أن الشاعر خرج أو انحرف عن أسلوبه هذا في تلك القصيدة السادسة التي احتوت على عدة جمل قصيرة، ولكن ما اعتبرناه عدولاً أو انحرافا يتبين لنا أنه ليس كذلك إذا عرفنا بعد تخريج هذه القصيدة السادسة - أن هذا المطلع من البيت الأول إلى الخامس كما يذكر محقق الديوان" هذا البيت والأبيات الخمسة التالية له لم ترد في مخطوطة الديوان، وذكرها التبريزي في شرح المفضليات، قال: "أول هذه القصيدة في بعض النسخ" ثم روى الأبيات الستة[١].

وهذا القول يعنى أن ما اعتقدناه من انحراف وعدول عن الاطراد في بناء مطلع القصيدة عنده يعد خطأ والصواب أنه لم يعدل عن هذا الاطراد الذي ذكرناه وهو الإتيان بحملة واحدة في مقدماته الغزلية تحتوى على عدة جمل أغلبها وصفية وهى تابعة للجملة الأولى.

---

(١) الديوان ٢٢٠.

**اللوحة الثانية : مدح خالد بن أنمار**

تأتى لوحة ثانية في القصيدة السادسة، وهى لوحة المدح، وهى تبدأ من البيت السابع حتى الحادي عشر، وكما حدث في القصيدة الثانية حيث تلى المقدمة الغزلية لوحة المدح، ولكنها هنا تستمر حتى نهاية القصيدة، ولكن على الرغم من هذا الاتفاق فإن المنهج التركيبي فيهما مختلف، ففي القصيدة السادسة يبدأ الشاعر في مدح خالد بن أنمار بن الحارث بجملة طويلة مركبة، وهى جملة فعلية مسبوقة بإن المكفوفة عن العمل بما، وتمتد الجملة إلى بيتين هما:

**إنما جاد بشأس خالد بعد ما حاقت به إحدى العظم**

**من منايا يتخاسين بـه يبتدرن الزول من لحـــم ودم**

فهي مكونة من: فعل + جار ومجرور (مفعول به) +فاعل +ظرف +مضاف إليه (اسم موصول) +(جملة صلة: فعل+جار ومجرور+ فاعل+ مضاف إليه) + جار ومجرور+ جملة فعلية صفة للمجرور+ جملة فعلية صفة أخرى للمجرور (فعل+ فاعل+ مفعول+ جار ومجرور + معطوف عليه).

وبعد هذا التركيب الذي جاء في صورة جملة واحدة طويلة (فعلية) ينطلق مستمراً في مدحه لخالد هذا.لكن في جمل قصيرة أربع في بيت واحد اسمية هو:

**باكر الجفنة، ربعي الندى حسن مجلسه، غير لطـــم**

ثم يجعل البيت الذي يليه في جملة واحدة فعلية، ومعها جملة تؤكدها، وهى اسمية مسبوقة بإن التوكيدية وبعده بيت آخر مثله مبتدأ بفعل هو جواب الشرط القادم أي هي جملة شرطية قدم الجواب فيها:

**يجعل المال عطايا جمة إن بذل المال في العرض أمم**

**لا يبالى طيب النفس به عطب المال إذا العرض سلم**

وهو ما فعله في القصيدة الثانية، ولكنه زواج في التركيب بين الجمل القصيرة والجمل الطويلة، ثم استمر في مدح عمرو بن هند حتى نهاية القصيدة محدثاً تقديم الخبر وتقديم المفعول، وقد يحذف المبتدأ، وذلك في الجمل القصيرة الوصفية لممدوحه في القصيدتين.

**اللوحة الثالثة : الحكمة والفخر**

وفى القصيدة السادسة بعد أن ينتهي من مدحه لخالد يتجه إلى الحكمة والفخر، وهذا ما لم نجده في شعره من قبل، فهو لأول مرة يقف مادحاً لنفسه ولحكمته، فأول شئ يريد أن يقول لسامعه: لا تقل نعم، وأنت تريد (لا) فيركب ذلك في صورة حوارية فنية.

أولاً: استخدام المثقب لأسلوب الشرط حيث يقدم جواب الشرط على فعل الشرط وأداة الشرط، وهذا موجود عنده بكثرة فهذه العبارة: إذا ما لم ترد الوعد في شيء لا تقولن نعم، ولكن يؤكدها في بيته هذا:

**لا تقولن إذا ما لـــم تـرد أن تتم الوعد في شيء: نعم**

ومثله في تقديم جواب الشرط على فعل الشرط وأداته قوله:

**ولبعض الصفح والإعراض عن ذي الخنا أبقى وإن كان ظلم**

أي وإن كان ظلم فبعض الصفح والإعراض عن ذي الخنا أبقى.

نلاحظ استخدامه لكلمة (نعم)، و(لا) عدة مرات في أبيات متتالية في جمل اسمية نحو:" حسن قول نعم من بعد لا ، وقبيح قول لا بعد نعم، إنَّ لا بعد نعم فاحشة" ، ثم يعود لتقديم جواب الشرط على فعل الشرط قائلاً: فـ( بلا) فابدأ إذا خفت الندم"، وفى الوقت ذاته يأتي بجمل شرطية على الأصل أي بدون تقديم أو تأخير مرتين في القصيدة ذاتها، وهما:" فإذا قلت: نعم فاصبر لها، متى لا يتق الذم يذم".

**بناء جمل الحكمة والمدح :**

نلاحظ على جمله في الحكمة أنها قصيرة (اسمية أو فعلية أو شرطية) نحو: إن الخلف ذم - اعلم أن الذم نقص للفتى، وكذلك جمله في مدح نفسه (الفخر) نحو: أكرم الجار، أرعى حقه، ولى الهامة، أنا من معد، لا تراني راتعاً في مجلس في لحوم الناس.

وعلى الرغم من أن الشاعر يفخر بنفسه إلا أن صفة الحكمة التي فيه تتغلب عليه في هذا الموضع، فهو يذكر الرأي وكذلك الصفة التي يمتدح نفسه بها، ثم يأتي بعدها بجملة مؤكدة بأن هي حكمة، نحو هذا البيت:

أجعلُ المالَ لعرضـــــي جُنَّـــةً {إن خيرَ المالِ مـــا أدَّى الذَّمـــمْ}

تكثر هذه الظاهرة بهذه القصيد، بل تكثر أيضا في شعره، ويمكن حصرها هنا:

❖أكـرم الجـار وأرعـى حقـه { إن عرفان الفتى الحق كرم }
❖لا تراني راتعـاً في مجلـس في لحوم الناس كالسبع الضرم
{ إن شر الناس من يكشر لي حين يلقاني ، وإن غبت شتم }
❖ تقولن إذا ما لـم تـرد أن تتم الوعد في شيء: نعـــم
{حسن قول (نعم) من بعد (لا) وقبيح قول ( لا ) بعد نعم }
{إن (لا) بعد (نعم) فاحشة} فـ( بلا) فابدأ إذا خفت الندم
يجعـل المـال عطايـا جمـة {إن بذل المال في العرض أمم}
فـإذا قلـت نعـم فاصبر لهـا بنجاح الوعد {إن الخلف ذم}

ومن هذه الأمثلة نرى أنه يأتي بعد ذكر رأيه في أمر ما بجملة اسمية مؤكدة بأن كما رأينا، تكون في شكل حكمة أو نصيحة يقدمها الشاعر لسامعه، ولكنه ينحرف عن هذا المنهج الذي سار عليه في هذه القصيدة وغيرها، فنراه يأتي بالدليل كما رأينا في الأمثلة السابقة، ولكنه ينحرف عن التوكيد بأن كما كان يفعل في نحو هذا البيت:

فتعزيـــت خشـاة أن يرى جاهل أنـي كمـا كـــان زعـم
ولبعض الصفح والإعراض عن ذي الخنا أبقى، وإن كان ظلم

أي أنه يريد أن يقول: إن بعض الصفح... أبقى) ولكنه أكد جملة الحكمة باللام بدلا من إن، وكذلك هذا البيت:

واعلم أن الذم نقص للفتى { و متى لا يتـق الـذم يـذم }

أي: إن من لا يتق (الذم يذم)، ولكنه أكد هنا (بمتى)الشرطية، ومثله أيضا:

ذاد عني النوم هم بعد هم { ومن الهـم عنـاء وسقـم }

نجد هنا حذف لـ (إن التوكيدية) أي إن في الهم عناء وسقم.

بيان إحصائي: وفي إحصاء لجمل الشاعر التي مدح بها نفسه ثمان جمل: خمس منها جمل فعلية، وثلاث اسمية، وكلها جمل قصيرة، ولو قارنا ذلك بالقصيدة الثانية التي في البحر نفسه؛ نجد أن القصيدة الثانية يكثر فيها الجمل الطويلة على عكس ما في القصيدة السادسة حيث تكثر فيها الجمل القصيرة، هذا لأن الشاعر في هذه القصيدة الأخيرة كان يتحدث عن نفسه متفاخرا، فاحتاج إلى جملة قصيرة، وكذلك موضوع الحكمة، وهذا يعني أن هناك علاقة كبيرة بين موضوع القصيدة وتراكيبها؛ فموضوع القصيدة يفرض على الشاعر تركيباً معيناً، وكذلك فرض على الشاعر كثيرا من الجمل الشرطية، بل إن النمط التركيبي للقصيدة يبدأ من أولها، أو قل من مطلعها - فنجد الشاعر يميل إلى الجملة الطويلة والقصيرة، الشرطية أو غير الشرطية، الاسمية أو الفعلية ، كل هذا يتحدد من بداية القصيدة.

ولو قمنا بإحصاء عدد الجمل القصيرة في هذه القصيدة كلها (السادسة) في مقابل الجمل في القصيدة الثانية مع ملاحظة الفارق في عدد الأبيات فيها. نجد خمساً وخمسين جملة، ما بين فعلية واسمية وشرطية في هذه القصيدة في حين أن عدد الجمل في القصيدة الثانية لا تكمل العشرين جملة، ما بين جملة طويلة وجملة قصيرة؛ أي بما يقل عن نصف عدد الجمل في القصيدة الثانية.

## القصيدة السابعة

١- ألا حيِّيا الدارَ المُحيلَ رسومُها تهيجُ علينا ما يهيجُ قديمُها
٢- سقى تلك من دار ومن حل رَبْعَها ذهابُ الغوادى : وَبْلُها ومُديمُها
٣- ظللْتُ أرُدُّ العينَ عَن عَبَرَاتِها إذا نُزِفَتْ كانت سراعا جُمُومُها
٤- كأنِّي أُقَاسِي من سَوَابِقِ عَبْرَةٍ ومِنْ ليلةقد ضاقَ صَدْري هُمُومُها
٥- تُرَدُّ بأثناءٍ كأن نُجُومَها حَيَارَى إذا ما قلتُ: غَابَ نُجُومُها
٦- فبتُّ أَضُمُّ الركبتينِ إلى الحشا كأني راقي حَيَّةٍ أو سَليمُها
٧- سيكفيكَ أمرَ الهمِّ عَزْمُكَ صَرْمَهُ ويكفيك مَخْلَوجَ الأُمُورِ صَرِيمُها
٨- ويَعْمَلَةٌ أرْمِي بها البيدَ في السرَى يُقَطِّعُ أجوازَ الفلاةِ رَسِيمُها
٩- رَجُومٌ بأثقالِ شِدادٍ رَجِلَيَّةٌ إذا الآلُ في التيهِ استقَلَّتْ حُزُومُها
١٠- كأني وأَقْتادي على حَمْشَةِ الشوَى يجُورُ صَرَارِيٌّ بها ويُقِيمُها
١١- أُمَضِّي بها الأهوالَ في كلِّ فَقْرَةٍ يُنَادي صَدَاها آخِرَ الليلِ بُومُها
١٢- أَنُصُّ السُّرى فيها بِكُلِّ هجيرةٍ تُغَيِّرُ ألوانَ الرِّجَالِ سَمُومُها
١٣- أرى بدعا مستحدثاتٍ تُرِيبُنِي يَجُوزُ بها مستضعفٌ و حَلِيمُها
١٤- فإن تكُ أموالٌ أُصِيبتْ وحُوِّلَتْ ديارٌ ، فقد كُنَّا بِدَارٍ نُقِيمُها
١٥- ونجمِي عن الثغرِ المَخُوفِ ويُتَّقَى بغارتِنا كَيْدُ العِدَى وضُيُومُها
١٦- صَبَرنا لها حتى تَفَرَّجَ بأسُنا وفِئْنَا لنا أسلابُها وعَظِيمُها
١٧- نَعُدُّ لأيامِ الحفاظِ مكارِماً فَعَالا ، وأعْرَاضاً صَحِيحاً أدِيمُها
١٨- أبي أَصْلَحَ الحيينِ بَكْرًا وتَغْلِباً وقد أُرْعِشَتْ بكرٌ، وخَفَّ حُلُومُها
١٩- وقامَ بِصُلْحٍ بين عوفٍ وعامرٍ وَخُطَّةِ فَصْلٍ ما يُعَابُ زَعِيمُها[1]

(١) الديوان ٢٣٤-٢٥٧.

## مقارنة بين القصيدة السابعة والثالثة والرابعة

### اللوحة الأولى : مقدمة طللية

### أولا: الوزن

هذه القصيدة الأخيرة في ديوان شاعرنا المثقب، وقد جاءت في بحر الطويل وسبقتها قصيدتان في البحر نفسه، القصيدة الثالثة والرابعة، وبمقارنة أوزان القصائد الثلاثة تبين أنهم جميعا جاءوا على الوزن نفسه، وما يعترضه من علل، فكلهم له عروض وضرب مقبوض تحول فيهم مفاعلين إلى مفاعلن، أما اختلافهم ففي الموضوع الذي تناولته كل قصيدة على حدة فقصيدتنا (السابعة) تبدأ بمطلع طللي، أي بدأت بالوقوف على الطلل، عكس ما سبقه من قصائد، فهي أول قصيدة عنده تبدأ بالوقوف على الطلل، أما القصيدة الثالثة فتبدأ بمقدمة غزلية في هند، أما القصيدة الرابعة فهي مختلفة عنهم جميعا، فهي قصة قصيرة يحكى فيها حكاية كرم، قام بها فكان بطلها. لكن لماذا اختار لهذه القصائد مختلفة المطلع هذا البحر الطويل؟

إن كانت هذه القصائد تجمعها صفة واحدة، هي أنها تتناول موضوعات تحتاج إلى بحر طويل الذي تفعيلاته كثيرة وطويلة، لتروى قصة أو تصف طللا، أو تتغزل في فتاة.

### ثانيا : التركيب

أما تركيب هذه القصيدة السابعة فإنه بدأ القصيدة بلوحة ليست غزلية، بل هي وقوف على الطلل، وهي تبدو في تركيبها جملة واحدة، وقد انطلق في هذه المقدمة من البيت الأول إلى السابع بدأ بالتنبيه "بألا" التحضيضية؛ فنجد البيت الأول عبارة جملة فعلية فعلها أمر، وتمتد إلى نهاية البيت في هذا التركيب:

فعل+ فاعل+ مفعول+ نعت سببي+ نائب فاعل + جملة فعلية صفة للمفعول :

**ألا حييا الدار المحيل رسومها تهيج علينا ما يهيج قديمها**

ثم يأتي البيت الثاني بجملة فعلية دعائية لتلك الدار ممتدة في البيت كله:

فعل ماضي+ مفعول + فاعل+ بدل من الفاعل):

**سقى تلك من دار ومن حَلَّ ربعها ذهاب الغوادي: وبلهـا ومُديمهـا**

ثم يأتي البيت الثالث في جملة فعلية أيضا متعلقة بالدار :

فعل+ فاعل+ فعل+ مفعول+ مجرور+ جملة شرط هي صفة المجرور:

**ظللتُ أرد العينَ عـن عبراتهـا إذا نزفتْ كانت سراعا جُمُومُها**

ثم يأتي بالبيت الرابع الذي هو وصف بالتشبيه للمفعول بالجملة السابقة:

كأن+ اسمها+ خبرها فعل+جار ومجرور+ مضاف إليه+ عطف على المجرور + جملة فعلية( فعل + مفعول + فاعل ):

**كأني أقاسي من سوابق عبرة ومن ليلة قد ضاق صدري همومُها**

ثم يأتي البيت الخامس صفة ثانية للمجرور الثاني في البيت السابق:

(فعل+ جار ومجرور+ كأن واسمها+ خبرها+ جملة شرطية جوابها مقدم)

**ترد بأثناء كـأن نجومهـا حيارى إذا ما قلت: غاب نجومهـا**

ولو أعدنا النظر إلي هذه الأبيات الخمس لوجدنا أن هناك فكرة يريد الشاعر أن يصورها، هي الوقوف على الطلل، فجاء البيت الأول والثاني كل منهما محتويا على جملة تنتهي مع نهاية البيت، أما في البيت الثالث والرابع والخامس فهو عبارة عن جملة طويلة، تبدأ بالبيت الثالث وتمتد حتى الخامس، ذلك عن طريق الوصف التوليدي لأحد أجزاء الجملة الأولى، فهي كلها وصف للعبارة، وهذا منهج وأسلوب من أساليب المثقب في الوصف. فهذه الجملة الطويلة تحتوي على سبع جمل في ثلاثة أبيات كما رأينا في اللوحات السابقة، وكأنه يريد أن يقول للمستمع: انتظر فإن الجملة تمتد بمتعلقاتها إلى ثلاثة أبيات ما بين جملة اسمية إلى فعلية إلى شرطية إلى تشبيهية، ذلك الامتداد والطول لغرض ما هو أن أوضح لك فكرتي وأصورها من خلال تلك المقدمة الطلالية.

"حديث الشاعر عن نفسه في المقدمة الطللية "

ثم يأتي البيت السادس ليتحدث فيه عن نفسه، وبالطريقة نفسها فالبيت يحتوي على جملة واحدة جملة فعلية، ولكنها مثل سابقتها تحتوي على فعلين متتاليين، أولهما ناسخ نحو: ظللت أرد - فبت أضم، ثم يردفها كأن: كأني أقاسي -

كأني راقي حية، فهى مكونة من:

فعل ناسخ+ فعل+ كأن (جملة وصفية) والبيت يقول:

**فبت أضم الركبتين إلى الحشا كأني راقي حيـــة أو سليمهـا**

نلاحظ هنا- كما ذكرت من قبل - افتتان الشاعر بالتشبيه لأحد أجزاء الجملة، وفي هذه القصيدة ورد هذا النمط ثلاث مرات حتى الآن.

**اللوحة الثانية : "وصف الناقة "**

تأتي اللوحة الثانية في "وصف الناقة" وقد بدأت بمقدمة في البيت السابع في شطرين كل شطرة تحتوي على جملة، الفعل فيها واحد كرره فيهما، وقدم فيها المفعول على الفعل: (فعل+ مفعول+ فاعل) يقول الشاعر :

**سيكفيك أمر الهم عزمك صرمه ويكفيك مخلوج الأمور صريمها**

ثم يعطف على ذلك الفاعل بالبيت الثامن بكلمة ويعملة، كأنه مل تكرار هذا الفعل ( يكفي ) مرتين وهذا الفاعل أو المعطوف على الفاعل ولا يكتفي بذكر اليعملة، وهي الأبل النجيبة، بل يأتي بجملتين فعليتين وصفاً لهذه الناقة:

١- أرمي بها البيد في السرى. ٢- يقطع أجواز الفلاة رسميها.

٣- كذلك هذه الجملة البسيطة الاسمية: مبتدأ محذوف وخبر (رجوم) ثم نفاجأ بمكملات تمتد حتى نهاية البيت، بل نفاجأ أيضا بأن هذه الجملة هي جواب شرط مقدم على فعل الشرط وأدواته؛ يقول:

**رجوم بأثقـــال شـــداد رجليـــة إذا الآل في التية استقلت حزومها**

ثم يستمر على منهجه أو أسلوبه، بأن يردف ذلك بكأن فهو يسارع إلى الوصف بالتشبه.

**كأني وأقتادي على حمشة الشوى يجور صـــراري بهـا ويقيمهـا**

وكذلك يرجع إلى منهجه في بناء الجملة حيث يركب الجملة الفعلية التالية وتبدأ من أول البيت، وتنتهي في آخره، ويدخل فيها جملة فعلية أخرى صفة للمجرور الذي في الجملة التي في أول البيت، أي الجملة الرئيسية.

**أمضى بها الأهوال في كل قفرة ينادي صداها آخر الليل بومها**

ثم يأتي البيت الثاني بالمنهج والأسلوب السابقين، مما يجعلنا نعطي تصوراً لتركيبة الجملة في هذه الأبيات:

فعل+فاعل مستتر+مفعول+جار ومجرور+مضاف إليه+ جملة صفة للمضاف

**أنص السري فيها بكل هجيرة تغير ألوان الرجال سمومها**

ويمكن أن نجمع هذه الألفاظ من التراكيب التي ذكرناها آنفا، والتي تمثل أسلوب المثقب في بناء الجملة، والتي تكرر أيضا في أكثر قصائده ولوحاته.

**اللوحة الأخير : فخر الشاعر بنفسه**

واللوحة الأخيرة هي فخر بالشاعر وقومه، ويبدأ هذه اللوحة بجملة شرطية تمتد حتى البيت الخامس عشر، والحق أن هذه اللوحة مسبوقة ببيت قبلها يقول فيه وهو يعد مقدمة لجملة الشرط التالية:

**أرى بدعا مستحدثات تريبني يجوز بها مستضعف وحليمها**

إن الفكرة المسيطرة على الشاعر هي الفخر بقومه؛ ولهذا فكل الجمل موظفة لهذا الغرض، فالمقدمة في البيت السابق تثير انتباه السامع بكلمة أرى بدعا، ثم يبدأ بالجملة الشرطية، فنجد داخلها قرابة تسع جمل، وهذا يعني أنها تخدم فكرة واحدة، وهي الفخر بهؤلاء القوم يقول:

**فإن تلك أموال أصيبت وحولت ديار، فقد كنا بدار نقيمها**

**ونحمي عن الثغر المخوف ويُتقى بغارتنا كيد العدى وضيومها**

**صبرنا لها حتى تفرج بأسنا وفئنا لنا أسلابها وعظيمها**

**نعد الأيام الحفاظ مكارما فعالا ، وأعراضنا صحيحا أديمها**

ونذكر هذه الجمل مستقلة وهي:

١- أرى بدعا مستحدثات.٢- تريبني.٣- يجوز بها مستضعف.٤- فإن تلك أموال أصيبت. ٥- وحولت ديار. ٦- فقد كنا بدار نقيمها. ٧- ونحمي عن الثغر. ٨- يُتقي بغارتنا كيد العدى وضيومها. ٩- صبرنا لها. ١٠- حتى تفرج بأسنا . ١١- وفئنا لنا أسلابها. ١٢- نعد لأيام الحفاظ مكارما.

وما نلاحظه هنا أنها كلها جمل فعلية، والسبب في ذلك أنه يريد أن يوضح صورة متحركة نحو (نحمي - يتقي - أصيبت - حولت - نقيمها - تفرج - فئنا - أرى - يجوز) وكل جملة مما ذكرنا تخدم المعنى، وهو وصف الحركة، والفخر بقومه، وكل جملة تحمل اسما نحويا مختلفا عن غيرها. وهى على النحو التالي:

١- جملة شرطية : (فإن تك أموال أصيبت) فعل الشرط. وما بعدها عطف عليها.

٢- جملة جواب الشرط: (فقد كنا بدار فقيمها) جواب الشرط.ما بعدها عطف عليها ، وما بعدها أيضا عطف آخر عليها.

٣- جملة وصفية: (صبرنا لها ...) وصف للغارة.

وفي آخر القصيدة لا ينسى الشاعر نفسه فيفخر بأبيه في آخر بيتين فيقول :

**أبى أصلح الحيين بكرا وتغلبا وقد أرعشت بكر وخفت حلومها**

**وقام بصلح بين عوف وعامـــر وخطة فصل ما يعـــاب زعيمهـا**

فنجد في البيت الأول جملة اسمية، وفي شطرته الثانية جملة حالية وصفية للمفعول في الجملة السابقة، وهي (بكر) وهو يكرر الفعل الرئيسي في البيتين، وهو أصلح - في البيت الأول، والمصدر في البيت الثاني صلح؛ وذلك لافتتانه بهذا الحدث الذي يفخر به (أصلح)، كما نلاحظ نمو مشاعر الفخر من القوم إلى الأب.

**الخلاصة:**

١- ارتباط بحر القصيدة بموضوعها، وأسلوب الشاعر في عرضه للحدث، والحوار داخله، وما نتج عنه من جمل؛ فالشاعر اختار لقصيدته "بحر الطويل" ولموضوعها "الفخر" وطريقة عرضه للأحداث أسلوب الحوار الذي جسد من خياله شخصا يحكى له ويحاوره، وكان لكل هذا أثره في بناء الجملة في هذه القصيدة، فساعد بحر القصيدة (الطويل) - بتفعيلاته التي تحتوي في البيت الواحد على ثمانية وأربعين حرفا - على استيعاب تلك الجمل الطويلة التي تنشأ عن الحوار الذي يصف فيه، ويشبه ويفخر ، بل إن البيت يستطيع تحمل جملتين أو أكثر، بل يحمل فكرة كاملة والرد عليها، ونذكر في هذا المقام ما قلناه من

قبل عن تكرار نمط معين من التراكيب لدى الشاعر وهو:

فعل+ فاعل+مفعول+ جار ومجرور+ مضاف إليه+ جملة صفة للمضاف إليه كما في هذا البيت:

**أنص السري فيها بكل هجيرة تغير ألوان الرجال سمومها**

ولولا بحر الطويل لما استطاع الشاعر أن يضع كل هذه الجمل في بيت واحد، وكذلك ما ورد في البيت الذي يفخر فيه بقومه؛ فهو يتكون من جملتين فعليتين وهو:

**ونحمي عن الثغر المخوف، ويُتَّقى بغارتنا كيد العدى وضيومها**

وما هذا الامتداد الكبير للجملة في هذا البيت إلا لأن الفكرة التي في رأسه أكبر من أي فكرة، وهي الفخر بنفسه وقومه، ولهذا فهو في حاجة إلى إطالة الحديث والوصف الممتد حتى تستوعب كل ما في عقله، ونفسه من فخر وإعجاب بقومه ونفسه، إذن ما في بنيته العميقة من فكرة كبيرة، فهذه الجملة ناتجة عن فكرة كبيرة أيضا، ولهذا ظهرت بهذا الشكل على السطح في تراكيب كثيرة، وكذلك الفخر وطبيعته الإنشائية احتاجت إلى البحر الطويل بتفعيلاته الكثيرة.

٢- كذلك نلاحظ هذا الالتفات في القصيدة من ضمير الخطاب في الفعل (ألا حييا الدار) إلى المتكلم (ظللت) ثم إلى المخاطب (سيكفيك) إلى المتكلم المفرد (كأني أمضي....) ثم المتكلم الجمع (كنا - نحمي...) إلى المتكلم المفرد (أبى...) وهذا التقلب بالانتقال من ضمير المخاطب إلى المتكلم إنما جاء ليلائم موضوعه، وهو الفخر، الذي يغلب فيه الحديث عن النفس.